إلى القارئ

من أهم ما حدث أخيرا فى دنيا الفكر والأدب انعقاد الدورة الثانية لمؤتمر الكتاب الافريقيين الاسيويين بالقاهرة ٠ وقد مثلت فيه تونس الى جانب أكثر من أربعين دولة بوفد يضم خمسة أساتذة وشاركت فى أعماله مؤمنة بوجوب المساهمة فى تقوية شخصية ما يسمى بالعالم الثالث واحياء الثقافات القومية فى مختلف هذه البلدان الفتية التى لا تزال تناضل من اجل الحرية والكرامة أو التى انبرت تدعم استقلالها وتبنى بعرق أبنائها المخلصين صرح نهضتها الشاملة وازدهارها الكامل ، رغم ما ورثته عن الاستعمار وعن عهود التقهقر والانحطاط من آفات وعاهات ورغم ما وجدت نفسها فيه ، غداة الاستقلال ، من ضعف مادى وتدهور اقتصادى ٠

شاركت تونس فى هذا المؤتمر لايمانها بأن للكتاب والمفكرين دورا جبارا فى معركة الحياة التى تخوضها شعوب القارتين وعليهم تبعة نشر الوعى وانارة السبل وتبين القيم وارساء هذا المصير المشترك الحتمى لافريقيا وآسيا على أسس وقواعد مذهبية واقتصادية صالحة ناجعة ٠ ولئن اتضح أن الاتجاهات لا تزال غامضة أو متشعبة وان السياسة فى معناها المتداول لا تزال توجه وتؤثر بينما المؤمل هو أن تتوجه السياسة نفسها بنور الفكر وتحليلات العقل ـ ألم تكن جميع الثورات منذ عهد سقراط الى ماركس نفسه ـ تحقيقا لنظريات وأفكار وقيم عليا وضعها فلاسفة وأدباء فى صيغة أحرجت فى كثير من الأحيان معاصريهم ؛ لئن كان ذلك فان اتصال ما يقرب من ثلاثمائة أديب وكاتب بعضهم ببعض وتبادل الاراء وما ينجر عن ذلك من مزيد التعارف والتقدير المتبادل غنم كبير وخطوة جبارة فى طريق تحقيق الهدف المنشود ٠

ولعلنا نرجع الى الموضوع بما يستحق فى عددنا القادم ؛ اذ ان هذا العدد تم تصميمه وبدىء فى طبعه قبل انعقاد مؤتمر كتاب افريقيا وآسيا ، وهو خاص بدرس الشعر العربى المعاصر وبتحليل أهم مشاكله ويحتوى على باقة من القصائد المختلفة الاغراض المتباينة الاساليب ، حرصنا على جمعها ليجد القارىء الكريم نماذج مما يتجه اليه شعرنا العربى المعاصر ٠

وأملنا ان نكون القينا أضواء على وضع الشعر وهو ركن من اهم اركان الادب العربى الذى لم تزل مجلة « الفكر » منذ سبع سنوات موفية اليه عاملة على خدمته والرفع من شأنه ٠

الفكر

خواطر حول الشعر

بقلم : محمد العربى عبد الرزاق

في آفاق الشعور التي لم تكن اغوارها لتسبر ولا ابعادها لتقاس في مجاهل النفس التواقة الى الجمال يراد فلا ينال ويترك فيتفق، يسير المرء بين ذبذبة العواطف ورفرفة الاحاسيس ويمازج أطياف المشاعر في اختلاجها بروح هادئة كاليقين حرى مضطربة كالشك، يسابق مذهب الاهداب من أحلام سراب.

ويخلو المرء بنفسه فيعود إليها تحدثه شفاف الاحاديث عما يحيط بها من جمال وما يكمن في خباياها من بديع السحر وتسرد على باطني سمعه ما لا يكاد يفهم عنه الا حدسا وحسا فينتشي ويذوب شوقا إلى عالم من الفن والجمال يعلم جيد العلم أنه ليس بمنته اليه يوما، فيضنيه الشوق وتعمه نشوة هي ذوب الالم ورحيقه، فيستحيل روحا شفافة تلتحق بأطياف الجمال الراقصة المياسة المرفرفة في أرجاء الكون. وهنا يصبح الانسان شاعرا.

وإن هو في هذه الحال الا شاعر لنفسه. وليس بشاعر عند الناس ما لم يبق في هذه الحال انسانا، في ثنائية ليس له أن يخرج منها الا ليعود اليها. وتلك هي منزلة الانسان فهو بشر بين آلهة وإلــه بين البشر.

اذ كيف يكون عند الناس شاعرا اذا اكتفى بادراك الجمال دون أن يخرجه للناس في صورته التي الفاه عليها، ثم كيف يستطيع أن يعبر عن ذلك الجمال بلغة ليس للانسان فيها نصيب، وقد خاطب الآلهة الناس بما يفهمون ونزلوا من عليائهم الى مستوى الجسد واللسان حتى لا يكون نصيبهم عبقرية الصمت وخلود السكون.

ومنزلة الشاعر الحق هي النفاذ إلى جوهر الجمال والانتشاء به في غمرة اللانهاية تنعدم فيها الحدود بين اللذة والالم ثم ربط الصلة بين هذا العالم المتبخر السحري وبين عالم الناس.

فالشعر هو ذلك الجمال الخالد الذي يتوق اليه الانسان ولا يصل إلى ادراكه الا بعض الموهوبين ممن دق حسهم وأرهفت عاطفتهم وروحهم، افراد ينفتح قلب الواحد منهم فيسع الخلق ويشمل الكائنات، ثم يفيض ذوبا سائغا فيكسوها من روحهويمزجها بكيانه ويخرجها للناسملكا مشاعا يجد كل فيها ما ينشده منذ الزمان الابعد.

ولست ادعي بسابق قولي وجود عالم خاص بنخبة من الناس مقصور عليهم لا يصل إليه إلا من فتح الله عليه فتروض رياضة صوفية فكت له مغالق الحكمة ، انما مواطن الجمال شائعة بيننا وموضوعات الشعر منتشرة من حولنا نغدو عليها ونروح، بينها وبين الناس غشاوة خفيفة، لكن أكثر الناس لا يبصرون...

وأهم موارد الشعر عند الانسان الطبيعة بمعناها العام والعلاقات البشرية مثل الحب بجميع معانيه. وقد كانت علاقة الانسان بالطبيعة من أكبر مقومات الشعر في جميع العصور والمجتمعات : فهي حزينة تارة وهي خفيفة مرحة طورا، وهي يائسة قاتمة حينا وهي تعج حينا آخر ببسمات المسرة وشعاع الامل. فهي الموت وهي الحياة، وهي الطرب بمعناه الأصيل.

ولست أنوي ذكر موضوعات الشعر واحدا واحدا فهي متعارفة بين الناس لكني أغتنم الفرصة لاشير الى عنصر من عناصر الجمال والشعر لا نكاد نرى من شعراء العربية من أقبل عليه أو احتفل به وأعني بذلك المجتمع أو الشعب، نعم الشعب في حركاته الجماعية الجبارة الرائعة، الشعب في ثوراته وفي انتفاضاته ، في جده وفي مرحه، في أفراحه وفي أتراحه، الشعب الزاخر البناء في توحد قواه وسمو روحه عندما يصبح القوة الهائلة تدك الصروح وتبني الحياة المتجددة المتوثبة وتسير نحو الغد الباسم تزول فيه الفروق ويعم الاخاء والمساواة بين بني البشر. ان مشاهدتك(1) لنصف مليون من الصينيين كالنمل يبنون سدا بايديهم بين الاناشيد التي ولدت مع الدهر يملأ نفسك

---

(1) في السينما

خشوعا ويجعلك تؤمن بالجمال، ان تخيلك لمليون من الاشجار تغرس في يوم واحد ببلادك يجعلك ترى مشهدا من مشاهد عمل الشعب يدخل عليك الاجلال والطرب. ان حضورك مهرجانا من مهرجانات الشعب يجعلك تفقد شعورك بالوحدانية فينسكب كيانك في ذلك السيل الجارف الرائع وتستسلم إليه كما تستسلم إلى نشوة الجمال أمام أروع مشهد من مشاهد الطبيعة. فمتى يتغنى شعراؤنا بجمال هذا الجبار الخلاق بعد أن جعله الشابي "طفلا صغيرا لاعبا بالتراب" هذا وان وصف الشعب يحيا ويعمل لهو أقرب إلى الجمال من التغني بمفاخر وأعمال أتاها الاجداد فأصبحت عندنا مخدرا نغالط به انفسنا ونخفي وراءه نقصنا بدل مصارحة انفسنا بحقيقة حالنا والعمل على تحسينها.

ويمكننا أن نقول في آخر كلامنا عن موضوعات الشعر ان كل ما يتصل بالانسان هو خليق بأن يكون موضوعا لشعره. انما المشكل الآن هو طريقة التعبير عن هذا الموضوع. وهو مشكل لا يقتصر في الحقيقة على الشعر نما نجده في كل فن من الفنون.

يشعر الانسان بالجمال فينعم ويألم ويغشاه الحنين ويغمره الشوق، فيتغنى ويغني الناس يحمل إليهم آيات الفن الخالدة... وليس الانسان بمستطيع ابلاغ الجمال إلى الناس بدون أن يغير منه، وهذا مشكل التعبير، اذ لا وجود لشعر بدون شاعر ولا لفن من غير فنان. ووظيفة الشاعر أو الفنان ليست في الحقيقة نقل الجمال كما هو موجود بل نقله من خلال نفسه فالشاعر الحق هو الذي يسعى إلى نقل طربه أمام الجمال وتأثره به إلى بني جنسه فيصيب وليس الشاعر من يصور لك مشهدا رآه تصويرا صادقا أمينا والشاعر الحق هو خالق الجمال في مشهد الجمال وهو ناقل هذا الجمال اليك كما خلقه. هو ذلك الانسان الذي سكب من روحه ومن لحمه ودمه في قطعته، ثم قدمها إليك جزءا من فؤاده، فنعمت بنعيمه وشقوت بشقوته واهتززت له ولها طربا.

غير أن هذا لا يعني أن الشاعر هو المرجع الفرد في اكتشاف الجمال وانه عليه أن يخلد إلى أعماق نفسه ويكتنه أسرارها الفريدة ويشيد آيات الجمال منها منصرفا عما حوله. فالشاعر هو خلاصة مجتمعه وهو المعبر

عن آماله وميوله وأشواقه وآلامه. هو الطاقة الناتجة عن مجموع هذه القوى الغامضة الجامحة تسري في مجتمعه، وهو اللسان المفصح عما تجمع في فؤاده من آثار التفاعل بين روحه المعبرة وروح مجتمعه المغمغمة الحنون. ومهما إدعى الشاعر الاعتكاف والاعتزال في قلاعه وبروجه، ومهما زعم الاقتصار في موضوعاته على خبايا نفسه فانه معبر ولا شك عن روح عصره وعواطف مجتمعه المكونة لروحه وعاطفته والمتقمصة في صميم كيانه.

وطرق التعبير الشعري كثيرة متعددة وليس هذا مقام التعرض اليها انما نسوق منها على سبيل المثال الكلاسيكية الجامدة في أشكالها وقوالبها والابداعية الباكية المنتحبة والايحائية والرمزية، وغيرها كثير. ولكل اتباع وأنصار الا أن أقوم مذهب في الشعر هو في نظرنا الحرية في الخلق وعدم التقيد بما سبق على أنه قديم جدير بالتقليد. فالشاعر هو الذي يكتشف طريقه بين المسالك بعد بحث وجهد وعناء فيسمو بها الى مستوى الفن الاصيل. أما من يدعي أن الشعر صناعة فحسب فقد قتل الشعر وخنق موارد الجمال ولست أعني أن الشعر فوضى مطلقة، إنما الشعر يبدأ فوضى ويستحيل نظاما على نحو خاص بصاحبه، فان لم يكن كذلك جاء شعرا فاترا.

ثم إن من الناس من ينظم شعرا تستسيغه النفس لاول وهلة لمافيهمنصور جميلة تحمل الشعر بين طياتها (كالفجر والورد والنور واللحن...) لكن الجمال ما يلبث أن يتلاشى لما كان قد طرأ على تلك الصور المعروفة من كثرة الاستعمال حتى فل حدها وجف معينها وسكنت أصوات السحر فيها. أما الشاعر الخلاق في طرق تعبيره فهو الخالد على مر الدهور.

وخير الشعر ما كان فيه الغرض والقائل والسامع متكاتفين في وحدة رائعة مظاهر متمازجة لصورة من صور الجمال الخالد.

محمد العربي عبد الرزاق

الشعر بين الكبت والانطـــــلاق

بقلم : البشير المجدوب

« ولا ارى للشعر قواعد ، بل هو فوق القواعد ، حر لا يتقيد بالسلاسل والاغلال • وهو اشبه بالاحياء فى اتباعه سنة النشوء والارتقاء ، يتجدد واحر به ان يتجدد بحسب الزمان »
الزهاوى

يتفق النقاد جميعاً اليوم على ان الشعر شيء والنظم شيء آخر • فرب نظم محكم السبك رائق اللفظ صحيح المعنى ولكن لا اثر للشعر فيه ، واذن فالشعر عنصر مستقل عن الوزن (I) غير ملازم له حتما •

هذه حقيقة واضحة اصبحت من البديهيات • ولكن الغريب ان نرى الكثير من نقادنا يسلمون بهذا ويعتقدونه اعتقادا ـ وقد يذهبون ابعد من ذلك فيقولون مثلا « هذا نثر كأنه الشعر » و « فى هذا المقال مسحة من الشعر » ـ ثم هم يرون الشعر شيئا لا يستقيم بغير الوزن ـ فى المعنى الاصطلاحى الضيق للكلمة •

فالشعر كل الشعر عندهم ما انسجم واتفق مع بحور الخليل بن احمد رضى الله عنه وكانما الوزن فى نظرهم بمثابة البدن الذى لا بد للروح من ان تحل فيه ـ هو دون غيره ـ كى يتجلى ويتحقق وجودها •

وهكذا يقعون فى تناقض صارخ • يقرأون الشعر الاوروبى الحديث فيستجيدونه ويطربون له ايما طرب ويرونه الشعر حق الشعر ثم اذا التفتوا الى الادب العربى انعكست المفاهيم وتحجرت الاذواق وباتوا اشد الناس محافظة على القديم

وهذه مغالاة فى تعظيم شأن « العروض » ونظرة الى الشعر خاطئة جائرة • • • اشبه بالعبء نجره وراءنا ونرزح تحته منذ قرون ولم يعد لحمله من داع ولا مبرر اصلا •

فبأى حق وبأى منطق نقصر « الحقيقـة الشعريـة » على انماط واوضاع محددة من الكلام ابتدعها العرب منذ ما ينيف على الخمسة عشر قرنـا ونحن لا نحيا حياتهم ولا نستوى واياهم ذوقا وثقافة وتفكيرا ! ؟

هـل لنا ان ننكر التغير الجذرى العميق الذى حصل فى عقولنـا واذواقنـا بل وفى نظرتنا الى الحياة وموقفنا من الوجود اثر احد عشر قرنا جد فيها من العلم والفلسفة والفنون مـا يحار الانسان فى حصره وتحديده ، وتلاقت فيها الحضارات شرقيها وغربيها وتآلفت ، واتسعت فيها آفاق الفكر الانسانى أيما اتساع ، حتى لقد اصبح الاوروبى يجد من الروعة امام معابد الاقصر مثل

I) اعنى هنا الوزن فى شكله التقليدى الذى حدده الخليل •

ما يجده فى كاتدرائية شارتر ، ومن المتعة الفنية امام تماثيل الهند نظير ما يحسه عند تحف ميشال آنج !

وهل فى وسع الشعر ــ ان اريد له الحيــاة ــ ان ينعتق مــن سنة التطور ويتنكر لدنيا تبدلت اوضاع الحياة فيها كل هذا التبدل الذى نشهده ، ولا تزال تتغير من يوم الى يوم دأبها السرعة الحثيثة والتجدد المستمر ! ؟

أليست هذه الاوزان التى ابتدعهــا العرب فى جاهليتهم صورا لحــركات نفــوسهم وسكناتها ، نسخة من النغم الــداخلى المتلجلج فى صدورهــم ازاء مظاهر حياتهم البسيطة الساذجة ــ حيــاة الفطرة والبــداوة عبر البيــادى الموحشات الخاليات ؟ !

ام ندعى لها قيمة مطلقــة ونخلع عليها صفة الخلــود كما لو كانت شيئا منقطعا عن العصر والبيئة تتجاوزهما الى ابعد حدود التجاوز ! ؟

وهل تيار الفكر ونبض الشعور وفضاء الخيال كل ذلك بقى واحدا لايختلف على الرغم من تغير النفوس وتبدل الازمان ؟ !

فاذا سلمنا بما بين « حضارة الجمل » و « حضارة الآلة » من فرق شاسع وبما بيننا وبين العرب القدامى من تفاوت عظيم ، فلم لا نتحسس حقيقة ذواتنا فنخلص لها الاخلاص كله ، ولم نجبر افكارنا واحاسيسنا واخيلتنا على الحلول فى قوالب الغير وموازينهم ؟! قوالب وموازين جاهزة لا تنبع من صميم تجربتنا الشعرية ولا هى وليدة انفعالنا الفنى !

فلا الفاظنا الفاظهم ولا معانيهم معانينا ولا ايقاع نفوسهم كايقاعنا !

أليست المعانى ــ فى الحقيقة ــ هى المثال والنموذج ، هى « القوالب » ننحت اساليبنا على اقدارها ونختار الفاظنا على هدى منهــا !

لقد اصبحنــا اليوم بفضل تقــدم علم النفس الحديث ومــا جد من مذاهب فلسفيــة عمقت معنى الوجود احرص واقدر على الغوص على اعماق نفوسنــا وتصيد ما يضطرب فى زواياها المظلمة من شوارد الفكر واوابد الخيال والشعور ان ما نطلبه من الشعر هو ان يشعرنا بحركة الحياة وخفقها فى انفسنا ، وفى ارجاء العالم من حوالينا ٠

فهل من شعر كلاسيكى يستطيع ان يصور بل ان ينطق بموسيقى النفس ويصف بل يشف عن شتى اهتزازاتها وتموجاتها وانطلاقاتها ؟

اى شعر تقليدى يصور لنا بايقاعه وجرسه ونغمه وتقطعه وترجيعه٠ولهاثه وصمته اخفى حركات النفس وادقها وخاصة تلك الحالات التى تجفو عن الفكر وتند عن الروية ؟

اى شعر قديم يتأتى له ان يعارض الموسيقى ابلغها واخصبها دلالة واسمحها ايحاء حتى كان الكلام يزدوج بحركة النفس ويلتحم بها فى حال جزرها ومدها ··· فى سجوها وعربدتها ، فى لينها وشراستها ؟

شيء من هذا قبس منه نجده فى هذه القطعة :

« الراقصة الاسبانية

تقول بأصابعها كل شيء ··

والرقص الاسبانى هو الرقص الوحيد الذى يستحيل فيه الاصبع الى فم ··

النداء الساخن ·· والمواعيد العطشى ··

والرضى ·· والغضب ·· والتمنى ·· والحنين ··

كل هذا يقال ·· بشهقة اصبع ·· بنقرة اصبع ··

أنا فى محلى

وسمفونية الاصابع ·· هناك ·· تحصدنى ··

تشيلنى ··

تحطنى ··

على تنورة اندلسية ·· سرقت زهر الاندلس كله ·· ولم تسال ··

وسرقت نهار عيونى ولم تسأل ······

« فهذا شعر وان جاء بدون « وزن » ولا قافية · شعر لان اصالته فيه وعاطفته فيه وموسيقاه فيه · شعر لانه يصدر عن فم شاعر » (2)

او كهذه الفقرة تصف لنا فتاة ترقص

« وجعلت الفتاة تدور او تقف ·· وتقوم او تهبط ·· فتقع فى هيئة الساجد ، فاذا هى قائمة او ترتفع فاذا هى ساجدة ·» (3)

هذه الجملة من النثر البسيط الممتنع تتحدى الشعر الكلاسيكى ان يأتى بمثلها وتعجزه اعجازا ·

اترى هذا الشعر يستطيع ان يصف الحركة الحية فى تقطعها واطرادها بمثل هذه الدقة ! قيام الحركة وتلاشيها ثم انبعاثها على الاثر وجيشانها ثم موتها فجأة حتى كان لم تكن !

اتراه يستطيع ان يشعرنا بايقاع الرقص خطه وصورته حتى كان العين تراه وتلمسه وكأن الجسم يحسه ويهتز له ويجاوبه !

---

2) مجلة الآداب ــ سنة 1957 العدد 6 ــ الشعر لنزار قبانى ، والتعليق للشاعر ابراهيم العريض ــ

3) محمود المسعدى حديث البعث الاول ، فليراجع القارىء القصة حتى يضع الفقرة محلها وفى اطارها المناسب

فاذا لم يفعل ـ ولن يفعل ـ فأنى لنا ان نبرز ما فى هذا الرقص وما فى كل رقص بديع من تحد ومغالبة وقهر للحركة ذاتها ولنواميس الطبيعة من ثقل وكثافة ورصانة وجمود ! روعة المأساة فى الرقص ٠ وتجاوز هذه المأساة ٠

هنا لا تجدى الصورة والتشبيه ولا المجاز والاستعارة ٠٠٠ بل ان يترنم اللفظ ويرقص على وقع الحياة وبوحى منها ويتحد بها اتحادا حتى لا نشاز ولا نبو ولا انفصام ٠

فمثل هذا فليطلب شعراؤنا فى قصائدهم والا فلا ٠ فان تأتى لهم ذلك ـ ولن يتأتى ـ فى الاوزان القديمة فحبذا والا فليخلقوا له وزنه المناسب وموسيقاه المنشودة ٠

اذا كانت النفس الانسانية لا تبقى ولا تكاد تستقر على حال واحدة اكثر من لحظات معدودة وانما هى انسياب مطرد وتردد بين الدعة والجموح افليس من السخف ان نلبس القصيدة وزنا واحدا وايقاعا واحدا لا يكاد يختلف فى مدى عشرين او خمسين بيتا ، كما لو طلبت من عاصفة هوجاء ان تـذل وتلين وتصطف امواجها آمنة مطمئنة فترقص باشارة من عصا قائد جوقة موسيقية

أليس هذا تجميدا لسيل الحياة وخنقا لانفاسها !؟ أليس هذا تنكرا وخيانة لحقيقة النفس وادبارا عن ينابيع الفن الثرة وموارد الجمال الحق !

ثم هل من شعر قديم يستطيع ان يصف الآلة ٠٠ تمر كتلة هائلة عاصفة من فولاذ تحديا وطعنا وسبة للانسان ؟ او فخرا وتزكية وتمجيدا للانسان !

اى قصيد موحد النغم والقافية يتسنى لـه ان يصور لنا المناظر المتلاحقة المتدافعة التى نلمحها من نافذة قطار يخب خببا !

وهل يمكن الشعر الكلاسيكى ان يطمح الى وصف حركات الطائـرات فى السماء وما يعرض للمسافر بالطائرة من غريب المشاهـدات والاحساسات ، وكيف انه يقذف به من بشرية إلى اخرى ومن مدنية الى نقيضها فى ساعات معدودات حتى يدهش العقل ويضل ضلالا !!

ام ان عالم الآلات والمصانع والجهد والكدح حمى مصون ، منطقة حـرام لا يجوزها الشعر !

أليس كل ما لمحنا اليه من معان وصور اذا اضفنا اليه رغبتنا الملحة فى افادة العامة ومخاطبة الشعب بما يفهم، أليس كل ذلك يتطلب منا لغة كالسهم النافذ تنغرز دون لحاء الوجود ، اداة مرنة تقوى على معانقة الواقـع المتمنـع النزق الشرود فى شتى احواله ومتناقض اوضاعه ، لغة تهتك الحجب وتختصر المسافة بين النفس واللفظ، لغة تكون بريئة من جرثومة الحذلقة والارستقراطية ومن كل تمويه وزخرف كاذب ورياء ٠

« عند ما يولد فى الشرق القمر ..
فالسطوح البيض تغفو
تحت أطنان الزهر ..
يترك الناس الحوانيت ويمضون زمر
لملاقاة القمر ..
يحملون الخبز .. والحاكى .. الى رأس الجبال
ومعدات الخدر ..
ويبيعون .. ويشرون .. خيال
وصور ..
ويموتون .. اذا عاش القمر .. »
او كقوله :
« اكتب للصغار ..
للعرب الصغار حيث يوجدون
« لهم على اختلاف اللون .. والاعمار .. والعيون ..
أكتب للذين سوف يولدون ..
لهم أنا أكتب .. للصغار ..
لأعين يركض فى احداقها النهار ..
أكتب باختصار
قصة ارهابية مجندة ..
يدعونها راشيل ... » (4

ان ما ننشده اليوم ونبتغيه من شعر كلام يجمع بين روعة الموسيقى وقوتها ورقتها وبين دقة النثر وصدقه ومرونته ...

لا النثر فى برودته ورتابته ولا ذلك الشعر الذى يلخص التجربة الحية ، وكأنه ظل باهت لها ، ينظم الشعور تنظيما مصطنعا فيخصى الحياة ويفقدها عرامتها وحريتها وتمردها وغموضها وما فى هذا الغموض من جاذبية واغراء ..

غرابة الشعر .. امتيازه واتزانه وما فى النثر من أنس وبساطة وطلاقة ، « المستحيل يرغم على الامكان » ان « يحكى » الشعر الواقع محاكاة الفن ويمثله تمثيلا بل ان يشف عنه شفوفا .

تصغى الى الشعر القديم فتراه ، مهما سما فى المعنى ، كالانشودة الموحدة النغمة فى مثل تفاهة وفقر « الطقطوقة » وتلتفت الى الشعر الجديد الجيد ــ وهو نادر وليس ذاك بضائره ــ فاذا انت فى لذة من النغم متجددة لا يفسد عليك « التوقع » متعتك ، وانما انت فى عالم الصدفة والاتفاق والروعة والاتساق .

---

4) نزار قبانى

تقول الآنسة نازك الملائكة من قصيدة « لنكن اصدقاء »
لنكن اصدقاء
الأكف التي عرفت كيف تجبى الدماء
وتحز رقاب الحليين والابرياء
ستحس اختلاج الشعور
كلما لامست اصبعا او يدا
والعيون التي طالما حدقت ، في غــرور
ترمق الموكب الاسودا ،
موكب الرازحين العبيد ..
في بعيد الديار
ووراء البحار ،
في الصحارى ، وفي القطب ، في المدن الآمنة
في القرى الساكنة ،
اصدقاء بشر
اصدقاء ينادون اين المفر ؟
ويصيحون ، في نبرة ذابلة
ويموتون في وحدة قاتلة ،
اصدقاء جياع ، حفاة ، عراة
لفظتهم شفاه الحياة ،
انهم اشقياء
فلنكن اصدقــاء !

* * * *

وتقول الآنسة نازك في « اغنية حب للكلمات »
« فيم نخشى الكلمات
وهي أحيانا أكف من ورود
باردات العطر مرت عذبة فوق خدود
وهي احيانا كؤوس من رحيق منعش
رشفتها ذات صيف شفة في عطش .... »
ولنصغ الى الشاعر « السياب » في حفار القبور (يقول على لسانه)
« هو ذا المساء
يدنو ، واشباح النجوم تكاد تبدو ، والطريق
خال ــ فلا نعش يلوح على مداه ولا عويل
الا النعيب
وتنهــد الــريح الطويل !
وعلام تنعب هذه الغربان ، والكون الرحيب
باق يدور ... يعج بالاحياء : مرضى ، جائعين

بيض الشعور كأعظم الاموات – لكن خالدين
لا يهلكون ؟ علام تنعب ؟ ان عزرائيل مات !
وغدا اموت غدا اموت ! » وهز حفار القبور
يمناه في وجه السماء ، وصاح : « رب ! اما تثور
فتبيد نسل العار ، تحرق بالرجوم المهلكات ،
احفاد عاد ، باعة الدم والخطايا والدموع ؟
يا رب ما دام الفناء
هو غاية الاحياء ، فامر يهلكوا هذا المساء !
سأموت من ظما وجـوع ..»

نحن احوج ما نكون اليوم الى تجديد نظرتنـا الى الشعر وتوسيع دائـرة مفهومنا له فلا نتعلق الا بالجوهر دون العرض ، لا نتطلب من الشعر الا ان يكون كلاما ممتازا جميل المعنى واسع آفاق الخيال مترنم اللفظ منسجم الايقاع ولا علينا الا ينقاد لوزن معين ويخضع لقاعدة مضبوطة .

قد يقول بعضهم : « انها الفوضى ندفع الشعر اليها دفعـا ! كيف نميز الجيد من الرديء اذا لم يكن هناك مقياس دقيق واضح ملموس ! »

فأقول : لم يكن امر الشعر القديم بأيسر ولا أبسط من امر الجديد ، ولم تكن صحة العروض ولا جمال اللفظ مقياسا كافيا لجودة الشعر ، وقد احتيج وسيحتاج دائما الى الذوق(5) الفني السليم المرهف الممتاز فهو الحكم دون منازع . فهذا الآمدي(6) يقول: « حكى اسحاق الموصلي قال: قال لي المعتصم اخبرني عن معرفة النغم وبينها لي ، فقلت : **ان من الاشياء اشياء تحيط بها المعرفة ولا تؤديها الصفة**. قال: وسألني محمد الامين عن شعرين متقاربين وقال : اختر احدهما . فأخترت . فقال : من اين فضلت هذا على هذا وهما متقاربان ؟ فقلت : لو تفاوتا لامكنني التبيين ولكنهما تقاربا **ففاضلت بينهما بشيء تشهد به الطبيعة ولا يعبر عنه اللسان** .»

حقا ! ان امر هؤلاء النقاد لعجيب . يتشددون في مفهوم الشعر وتعريفه اكثر من ارباب هذا الشعر . ومن شان المتعصب الزميت ان يكون (كما يقول الافرنج): « ملوكيا اكثر من الملك » . والا فكيف نؤول موقف العرب من القرآن واهتزازهم لروعته رغم سوء نيتهم وعداوتهم للدين الجديد .

5) للجرجاني تعبير جميل ينعت به الذوق وهو « الاحساس الروحاني »
6) الموازنة بين البحتري وابى تمام

أليس انهم قد احسوا احساسا قويا جريئا بما فى القرآن من « شاعرية » ممتازة ! والا لماذا لم ينعتوا محمدا بالخطيب الى جانب قولهم انه شاعر وساحر وكاهن ومجنون ! أليس لان فى القرآن من قوة البيان والموسيقى ما يضاهى ويفوق اروع فن عندهم وهو الشعر • نعم ان فى نسبة محمد للشعر غرضا دعائيا القصد منه الازراء بالقرآن واعتباره كلاما بشريا ، لا وحيا ولا تنزيلا ،

ولكنهم ـ بالرغم منهم ومن حيث لا يدرون ـ قد كشفوا عن مدى اعجابهم بالقرآن اذ شبهوه باجمل ما اوتوا من فن ، لانه لو لم يكن هناك اى شبه بين القرآن والشعر لما عمدوا الى نعت النبى بالشاعر•وكيف نفهم قوله تعالى: وما علمناه الشعر وما ينبغى له ؟ » أليس النفى هنا متعلقا بذاك النمط المعين من الكلام الموزون الذى اعتادت العرب ان تسميه شعرا ، دون ان يشمل روح الشعر وخصائصه الجوهرية ؟ أليس فى سورة يوسف جو شعرى شيق طافح بالحب يكتنف النبى الفتى وامرأة العزيز ، بل اجواء شعرية تتمثل فيها اجمل معانى الابوة الحانية والاخوة الصادقة العطوف !

وفى سورة مريم ! ألسنا نجد « قصيدا » من ارفع الشعر ، قصيد الامومة آلاسية المعذبة تشارك بلحمها ودمها فى بناء الكون ورقى الانسان ! وادعية الانبياء ! ومآسى الانبياء ! فهذا شعر الحياة لايدخل تحت حصر ولا يرضى بقيد وانما يسرى ويشيع فى ارجاء الكون حرية صرفة ومحض اختيار •

انه يحق لنا ان نتساءل : لماذا لم ننظر ، حتى اليوم ، الى القرآن على انه خطوة هائلة فى طريق التحرر الفنى ، تحرر العبارة من رق الـوزن الموحـد والقافية الملتزمة المكرورة ! لماذا لم نعترف بهذا حق الاعتراف ولم نعمل على ابراز هذه الخصلة حق قدرها •

ومن المؤسف حقا اننا لم نجد ان القرآن قد اثر فى اساليب الكتابة الفنية الرفيعة التأثير العميق المرجـو ، اعنى الاقتـداء فى ميـدان التعبير الشعرى بأسلوب القرآن وحرية القرآن ، وتحرير العبارة من القيود المجحفة بالمعنى مع مراعاة حق اللفظ وما يقتضيه من جمال ونغم وايقاع •

اننا لا نكـاد نجد فى نثرنا العربى ما يعتد بـه فى هذا الباب وما يمكن ان ينافس الشعر التقليدى او يدانيه اللهم بعض الشذور والفصول القليلة لنفر من البلغاء والكتاب•منهم على بن ابى طالب وعبدالله بن المقفع (فقرات من باب برزويه فى كليلة ودمنة) وابو حيان التوحيدى (الاشارات الالهية) وابو الفرج الاصبهانى (الاغانى) ومحمود المسعدى (مولد النسيـان ـ السد)

على ان من القدامى ـ وهذا ينبغى ان نسجله بكل اعجاب ـ من قد تفطنوا الى اتساع فضاء الشعر وتنوع انماطه وان الشعر ليس مقصورا على النظم (كما ضبطه الخليل) ٠ فلقد سئل ابو العتاهية (7) « هل تعرف العروض ؟ » فقال : انا اكبر من العروض ويردف ابو الفرج قائلا : « وله اوزان لا تدخل فى العروض » ٠ وقال ابو العتاهية : اكثر الناس يتكلمون بالشعر وهم لا يعلمون ، ولو احسنوا تأليفه كانوا شعراء كلهم » (8)

وهذا ابو حيان التوحيدى يقول فى « الامتاع والمؤانسة » : وينتثر النظم كما ينتظم النثر » وقال فى الكتاب نفسه : « قال ابن هندو الكاتب : اذا نظر فى النظم والنثر على استيعاب احوالهما وشرائطهما ، والاطلاع على هواديهما وتواليهما كان ان المنظوم فيه نثر من وجه ، والمنثور فيه نظم من وجه ، ولولا انهما يستهمان هذا النعت لما ائتلفا ولا اختلفا » وجاء ايضا فى نفس الكتاب : « قال ابو سليمان : المعانى المعقولة بسيطة فى بحبوحة النفس ، لا يحوم عليها شىء قبل الفكر ، فاذا لقيها الفكر بالذهن الوثيق والفهم الدقيق القى ذلك الى العبارة ، والعبارة حينئذ تتركب بين وزن هو النظم للشعر ، **وبين وزن هو سياقة الحديث** ، وكل ذلك راجع الى نسبة صحيحة او فاسدة ، وصورة حسناء او قبيحة ، وتأليف مقبول او ممجوج ٠٠٠٠ »

هذا ولا ننسى ان ننوه بجهود شعراء الاندلس الذين خالفوا اوزان الخليل فى موشحاتهم فنظموا فى اوزان جديدة وتفننوا فى القوافى ونوعوها فكانوا بحق روادا وقدوة للحركة التحريرية فى الشعر ٠

ولا ننسى ايضا ان ابا العلاء المعرى قد مارس شيئا من هذا النظم المتحرر فى الفصول والغايات ٠٠ مقتفيا فى ذلك او معارضا اسلوب القرآن ٠

واذن فلماذا لا تتسع دائرة اوزان الشعر وتنفسح وتتفرع وتتشابك وتتداخل متزاوجة ومتآلفة متناسقة الى ما لا يدخل تحت حصر ولا يخضع لاى قيد الا رهافة الحس وسلامة الذوق !

لماذا يجبر كل الشعراء على الترنم فى قوالب واحدة مقننة !

لماذا لا يكون لكل شاعر اسلوبه فى النغم وموسيقاه الخاصة به !

---

7) كتاب الاغـانى لابى الفرج الاصبهانى
8) نفس المصدر

لسنا نرمي الى اطراح الشعر الكلاسيكي والقول بعدم صلاحيته بتاتا . انما نرى ان لكل وظيفة ففي النفس العصرية حاجة بل حاجات لا يرضيها الا هذا الصنف المتحرر المنطلق المنسرح من الشعر ، وانها لتتوق اليه وتهفو كلما تحدثت في بساطة وغير كلفة او جمحت واندفعت ثائرة معربدة فكأنها حينئذ نافورة ، شلال ، صوب هاطل من الخواطر والاحاسيس .

اما الشعر الكلاسيكي فهو يناسب الحالات المطردة على وتيرة واحدة الخالية من الالتواء والتعقيد الاقرب الى القرار والانتظام

لسنا نرمي الى نبذ الشعر التقليدي اصلا والاستعاضة عنه بالجديد وانما نفسح لهما المجال جميعا ليسترسلا في « تعايش سلمي مثمر نزيه »

نحن نعلم ان في الشعر الجديد ـ حره ومرسله ـ غثا كثيرا بل ان اغلبه فج ضعيف . وهل من عجب في ذلك . وهل بريء الشعر القديم من هذا العيب ! الفن صفوة تكتنفها رغوة كثيرة ! والنبوغ لا يوجد على قارعة الطريق . نحن نعلم كل هذا ولكننا نعلم ايضا ان الثورة واجبة وان السبيل واضح والتحرر ممكن .

فيا ليت نقادنا وشعراؤنا يتخذون لهم شعارا قول احد شيوخ الادب الفتيان اعنى طه حسين . قال :

« لا ارى بهذا التجديد في اوزان الشعر وقوافيه بأسا ، ولا على الشباب المجددين ان ينحرفوا عن عمود الشعر فليس عمود الشعر وحيا قد نزل من السماء .. وقديما خالف ابو تمام عن عمود الشعر وضاق به المحافظون اشد الضيق . والشعر تعبير عن العاطفة وما يثور في النفوس من دقائق الشعور وما يؤثر فيها من صور الجمال وحقائق الحياة على اختلافها . وهو من اجل ذلك يتأثر بالعصر وبالبيئة وبظروف الحياة التي تختلف على مر الزمان . ولست ارفض الشعر لانه انحرف عن العمود القديم او خالف عن الاوزان التي احصاها الخليل . وانما ارفضه حين يقصر في امرين اولهما الصدق والقوة وجمال الصور وطرافتها . وثانيهما ان يكون عربيا لا يدركه فساد اللغة ولا الاسفاف في اللفظ . وقديما قال ارسطو : « يجب قبل كل شيء ان نتكلم اليونانية » فلنقل نحن يجب قبل كل شيء ان نتكلم العربية (9)

البشير المجذوب

---

9) مجلة الآداب سنة 1957 العدد 2

الشعر العربي ومشكلة التجديد

بقلم : أدونيس

ليست مشكلة التجديد في الشعر العربي (*) حديثة العهد. إنها قديمة ترجع إلى القرن الثامن، في أوائل العصر العباسي.

كان النقاد ، آنذاك، يعتبرون الشعر العربي، من هذه الناحية، عهدين يبدأ الاول قبل الاسلام بنحو مائة سنة، أي في أوائل القرن السادس، وينتهي بعد الاسلام بنحو مائة سنة أيضا، وتسمى هذه الفترة فترة الشعر القديم. أما العهد الثاني فيبدأ بقيام الدولة العباسية أواسط في القرن الثامن، حيث بدأت فترة الشعر المحدث.

يجمع هؤلاء النقاد أن الشعر العربي كان في عهده الاول، واحدا في أصوله ومناحيه، على الرغم من تباينه في الصياغة والطريقة ومن التغير الذي طرأ على أغراضه في بداية الاسلام، اذ قوى شعر النسيب والهجاء، ووجد الشعر السياسي. لكنه في عهده الثاني، تميز بطابع آخر. اتسعت أبعاده لتأثره بالحياة الجديدة ومصاحباتها الاجتماعية والفلسفية والعلمية وحاول، بالتالي ،أن يعبر عن هذا التأثر بأساليب جديدة خاصة. هكذا بدأ الشعر العربي "يفسد"(1) في نظر هؤلاء النقاد، وبدأ شبه اتجاه شعري جديد تمثل في بشار ابن برد وابن هرمة والعتابي وابي نواس ومسلم ابن الوليد وابي تمام وابن المعتز والشريف الرضي وغيرهم — وهو اتجاه خرج به أصحابه على عمود الشعر العربي الذي حدده المرزوقي في مقدمته لشرح "ديوان الحماسة" لابي تمام (2).

نستخلص مما كتبه النقاد العرب(3) حول مشكلة التجديد، الامور التالية :

أولا — الشعر الذي ولد مع بشار بن برد ومن جاء بعده من المجددين دخيل على الشعر العربي و"فاسد" كما يقول الآمدي. ولعل في تسميته محدثا ما يشير إلى أن النقاد كانوا يعتبرونه بدعة سرعان ما تزول.

* هذه دراسة القاها أدونيس في مؤتمر الأدب المعاصر الذي انعقد برومة في شهر اكتوبر الماضي ولم ننشرها في العدد الخاص الذي أصدرناه في هذه المناسبة لاتصاله بهذه الحلقة المخصصة لشؤون الشعر العربي .

ثانيا – الشعر العربي في عهده الاول، وحصرا الشعر الجاهلي، هو النموذج الفني الاعلى ؛ له جماله المكتمل، وله قيمته المطلقة الثابتة. هو، اذن المقياس والقاعدة، وأصوله نهائية وراسخة لايجوز الانحراف عنها أو العبث بها أو تخطيها.

ثالثا – يشترط في كل تجديد حتى أن يكون متمشيا مع ذلك النموذج وأصوله (4).

غير أن شعراء الاتجاه الجديد لم يحفلوا بهذه الاحكام النقدية ولا بمقاييسها.وقد عبروا عن تمردهم عليها ورفضهم لها، بأشكال متنوعة. اتخذ بعضهم من القرآن الكريم ذاته حجة تؤيده في تمرده ورفضه. (5) ونلمح في مواقف بعضهم سخرية من خصومهم وإحراجا لهم، كما نلمح فهما عميقا للنقد وللشعر على السواء (6). وسخر أبو نواس في شعره من عقلية الشعراء الجاهليين وحياتهم ودعا للثورة عليهما وتخطيهما، نحو العقلية والحياة الجديدتين، (7) في سبيل إيجاد لغة شعرية جديدة وقيم جمالية جديدة. ورافقت هذا كله محاولات ابتكار إيقاعات وأوزان شعرية لم يألفها العرب(8).

حين ننظر في ضوء حاضرنا، الى التجديد الذي حاوله أسلافنا في الماضي وإلى ما أثير حوله آنذاك، نرى المفارقات الغريبة التالية :

أولا – كان النقد يسير في اتجاه والشعر يسير في اتجاه آخر. كان النقاد يدافعون عن قيم موروثة، وكانوا يتعلقون بالقديم ويستجيدونه لانه قديم وإن كان سخيفا(9) في حين كان الشعراء يحاولون التخلص من سيطرة القديم وأشكاله، ويحاولون أن يكتبوا شعرهم بأساليب جديدة، قليلا أوكثيرا فليس في تاريخ الشعر العربي ناقد واحد وجه الشعر أو أثر فيه تأثيرا حاسما واكتفى النقد أن يكون صدى للذوق العام، وتصنيفا للأفكار السائدة، ودفاعا عن القديم ومطالبة باتباعه والنسج على منواله.

ثانيا – الشعر المحدث الذي اعتبره النقاد "فاسدا" هو الذي صح في السياق الاخير، والشعراء يتداولونه الآن أكثر مما يتداولون الشعر القديم الذي اعتبره أولئك النقاد النموذج الاكمل للشعر العربي، في حين أن النقد القديم هو الذي يستمر في حياتنا وفي ثقافتنا ويسيطر، بشكل أو آخر.

ثالثا — إن ما اعتبره هؤلاء النقاد في الشعر المحدث خروجا على عمود الشعر العربي وانفصالا عنه، نعتبره نحن الآن انسجاما معه وتكملة له. لقد أدرك بعض أسلافنا ضرورة التجديد، وحاربوا في سبيله، وكسروا أطواقا كثيرة، ومهدوا له، الا انهم لم يخلقوا الجديد حقا، وبقي الشعر العربي، قديمه وحديثه، أسير قالب واحد.

فحتى أبو نواس، الشاعر الذي يعنينا من وجهة النظر الشعرية الحديثة أكثر من أي شاعر عربي قديم آخر، كتب الكثير من القصائد التقليدية، مسايرة وتقربا ومرضاة، ولم يكن ثوريا كاملا.

هكذا لم يتمكن أسلافنا المحدثون من النهوض بالشعر العربي نهوضا حقيقيا(10) ورثوا شعرا قائما على الحساسية العفوية فتبنوه وأضافوا اليه عناصر فكرية وجمالية جديدة، لكن هذه الاضافة لم تغير من شخصية الشعر العربي التقليدية، فاستمر كما كان، وبقي مادة تصهر وتصاغ، ثم يعاد صهرها وصياغتها مرة ثانية.

لقد نشأ الشعر العربي وعاش في عالم من الثبات: ثبات الاطر الجمالية والموضوعات والاساليب واللغة والوزن. هذا الثبات ولد التكرار، والتكرار أدى إلى أن تصبح الموضوعات أو المعاني آلية مجردة. فالشعر العربي ذو بنيان واحد، تقريبا، في صيغه وأفكاره وحتى عواطفه، وهو حشد هائل لمجموعة من الصفات المتعارف عليها، في الجمال والمروءة والكرم والشجاعة وغيرهـــا.

هذا الثبات عائد الى ثبات في القيم والنظرة. كان عند العربي مثل أعلى للرجل، ومثل أعلى للمرأة، وكان الشاعر يحرص أن يكون ممدوحه أو حبيبته صورة حية عن هذا المثل أو ذاك. والمثل صفات كان كل شاعر يطلقها على كل رجل أو إمرأة، بحيث يتعذر أن نتعرف على امرأة بعينها أو رجل بعينه من خلال هذه الصفات. ذلك أنها ليست صفات شخص نراه ونعيش معه بل صفات انموذج مجرد قائم في الذهن. من هنا كان مضمون هذا المثل يتكرر لذلك أصبح جافا ورتيبا. ومن هنا نشأ اهمال المضمون باعتباره مهذولا للجميع، كما كان النقاد العرب يقولون، واتجهت العناية الى الصياغة.

لقد اكتفى الشاعر العربي أن يحصر دوره في صياغة المادة التي وضعها بين يديه التقليد، صياغة جميلة وجديدة ما أمكنه ذلك، واكتفى النقد أن يلاحظ شكل هذه الصياغة وطرائقها، وأن ينظر في براعتها وجودتها، أو في تفاهتها وابتذالها. ولا نجد ناقدا قديما واحدا درس الشعر في عصره من حيث هو تجربة تضيء وضع الانسان وتفتح أمامه أبعادا انسانية مجهولة.

(3)

لهوراس كلمة يقول فيها: "كان آباؤنا خيرا منا، وآباؤهم خيرا منهم، ونحن خير ممن سيأتون بعدنا." ، تلخص هذه الكلمة، اذا أعطيناها دلالة شعرية، وضعنا الشعري في الماضي والحاضر معا. فالمفاهيم الشعرية التي سادت في ماضينا بقوة التقليد لا تزال مستمرة في حاضرنا بهذه القوة نفسها. بل انها ازدادت حدة وتعقدا، لكي تتمكن من الصمود أمام الحاضر المتغير الحي، فارتبطت باتجاهات حضارية تتعلق بالمعاني الاخيرة للانسان والقيم أصبح الشعر جزءا منها، وأصبح الخروج على القيم الشعرية الموروثة خروجا على هذه الاتجاهات ومصاحباتها السياسية والاجتماعية كلها. هذه المفاهيم صورة معادة عما كانت عليه في الماضي. فهي تعتبر التراث الشعري العربي (11) راسخا ومقدسا، شأنه في ذلك شأن اللغة التي تنقله. وترى أن كل ابداع أو تجديد حق يتحتم أن ينطلق بدءا من مقاييسه وأشكاله. فهناك نوع من ارتباط الشاعر بهذا التراث ارتباطا قدريا يوجهه ويقوده.

تجد هذه الاتجاهات في الماضي ملجأ أمينا ثابتا ضد الحاضر الذي يتحول بشكل مفاجيء وغريب. فالماضي يقدم لها صورة محددة كاملة تريحها وتطمئنها، بينما الحاضر متموج وليس له صورة ثابتة. اذ يصر اصحابها، اذن، على أن يبقى الشعر قائما على التقليد، فلأنهم يرون أن ذلك يحفظ استمرار الثقافة، ويوحد بين الماضي والحاضر. هذه الثقافة التي يشيرون بها، ثقافة تعليمية. وكل ثقافة تعليمية هي، بطبيعتها، دائرية ؛ ذروة التقدم فيها هي طقس العودة الدائمة الى الماضي، فليست الحياة في هذه الثقافة ممارسة دائمة للمغامرة، بل بقاء في ظل الحكمة والموعظة.

ان في القديم، كما كان يرى النقاد العرب وكما يرون حتى الآن،

ضمانا ليس للاصول الاولى فحسب، بل للحاضر والمستقبل أيضا. كأن ما كتب في الماضي، كتب في مناخ من الكمال وانعدام الخطأ. هكذا يصبح القديم حقيقة أولية تؤدي الى اعتبار الشاعر القديم خالقا أعطي له، بامتياز خاص أن يكتشف، منذ اللحظة الاولى، أسرار الشعر والجمال كلها. ومن هنا كان للقديم في الحياة والذهنية العربيتين، سحر يقتل عبقرية الحديث وجماله. فنحن قلما نكتشف عظمة الاحياء بيننا، وربما اكتشفناها بعد أن يدخلوا في الماضي. كأن الماضي مخلوق على مثال نفسه، وكأنه نور حياتنا — يضيئها ويحيينا.

لا تملك الذهنية التي تقدس القديم هذا النوع من القداسة، الا أن تستمر في إعادة تركيبه وفي احيائه، فالثبات عندها قانون دائم. انها تعيش على قناعات نهائية في الفكر والروح، وكل ما يهددها في هذه القناعات يزيدها تمسكا بالقديم واستعصاما به، ويزيدها حدة وشراسة في مهاجمة خصومها حتى أنها قد تضحي، في سبيل ذلك، جميع القوى الثقافية الخلاقة.

هذه الذهنية لاتفهم النمو الشخصي المستقل عن التقليد والماضي، ذلك أنها تعيش في حالة شبه دينية — حالة من الوحدة الكاملة مع التقليد والماضي فلكل شيءجذوره فيهما، وكل شيء يستمد قوته منهما، وكل معرفةمتضمنة، سلفا، فيهما. بهذا يصبح التكرار والتذكر أكثر أهمية من الاكتشاف والخلق، ويصبح القديم أساسا ومحورا.

والحق أن القديم هو مركز الجاذبية والثقل في الثقافة العربية، فهي لا تفهم الانسان الا وارثا ومكملا، بحيث أن الحاضر والمستقبل ليسا الا نوعا من شرح القديم أو التعليق عليه.

(4)

تستند الحركة الحديثة في الشعر العربي الى الاسس الآتية :

أولا — التمرد على الذهنية التقليدية، الذى بدأه الشعراء القدامى، وانضاجه وايصاله الى اقصى ما تتيحه التجربة الشعرية — دون اي نوع من أنواع الخضوع للتقليد. فلا يتم التجديد بالعودة الى التقليد أو بالتلاؤم مع أشكاله

الشعرية. ان في مثل هذه العودةانفصالا عن الحاضر، وتقييدا للحساسية، وخيانة للواقع. التقليد ثبات والحياة حركة، فمن يبقى في التقليد يبقى خارج الحياة وكما أن الامانة للتقليد نفي للحياة، فان الامانة لاشكاله وأساليبه الشعرية نفي للشعر. وكم يتحتم على هذا التمرد أن يكون جذريا وفذا، اذا تذكرنا أن التقليد في بلادنا ليس مجرد ايمان واقتناع وانما هو نظام حياة ونظام فهم للحياة أيضا.

ثانيا – تخطي المفهوم الذي يرى في الشعر العربي القديم وثيقة جمالية وأنموذجا لكل شعر يأتي بعده، أومقياسا له، أو اصولا أخيرة. هذا يؤدي الى تخطي الموقف الحضاري الذي يرافق هذا المفهوم – الموقف الذي يعتبر أن للتراث الشعري العربي قيمة، بحد ذاته، وفي استقلال عن التراثات الشعرية الاخرى، وأنه ، لذلك مبدأ وأصل وعالم مكتف بنفسه له خصائصه الحاسمة ونظامه المقدس، وأن التقدم والابداع تشبه به وعودة دائمة صوب عصره الذهبي.

هذه الاسس التي تستند اليها حركة الشعر الحديث نفصلها في النقاط التالية :

أولا – الناحية الفنية : القصيدة العربيةالقديمة مجموعة أبيات، أي مجموعة وحدات مستقلة متكررة لا يربط بينها نظام داخلي، انما تربط بينها القافية وهي قائمة على الوزن ؛ والايجاز طابعها العام. وقد فسر هذا الشكل بسيطرة الروح القبلية عند العرب، وبضرورات الحفظ والترنم.

مقابل هذه القصيدة العربية القديمة التي لا تزال مستمرة، بشكل أو آخر، حتى اليوم، تنهض القصيدة العربية الحديثة. وإذا اردنا أن نقارن بينهما نجد أن الاولى، اذ تقوم على وحدة البيت المتكرر المستقل، وعلى القافية التي تنظم هذه الوحدة المتكررة، واذ تلتمس جماليتها، بالتالي، في جمالية البيت المفرد، فان القصيدة الحديثة وحدة متماسكة، حية، متنوعة، وهي تنفذكل لا يتجزأ، شكلا ومضمونا. والقصيدة القديمة صناعة ومعان ، بينما الحديثة تجربة متميزة. والقديمة لغة ذوق عام وقواعد نحوية وبيانية، والحديثة لغة شخصية. ولا ضير في تكرار المعاني بالنسبة لمفهوم القصيدة القديمة، اذا كانت

صياغتها جيدة، في حين أن الفرادة وجدة الرؤيا من أهم عناصر القصيدة الحديثة، والقصيدة القديمة قائمة على الوزن السهل، المحدد، المفروض من الخارج، بينما تقوم القصيدة الحديثة على الايقاع، والايقاع نابع من الداخل، لذلك هو ابتكار واستخدامه يتطلب قوة وبراعة وموهبة أكثر مما يتطلب استخدام الوزن. وهناك شكل واحد (12) في القصائد القديمة كلها — بينما لكل قصيدة حديثة شكلها الخاص. وفي حين لا يتطلب ادراك الشكل في القصيدة القديمة جهدا، فان ادراكه في القصيدة الحديثة يتطلب وعيا شعريا كبيرا. فهو يتناول معرفة الاجزاء في مادة القصيدة، وعلاقات هذه الاجزاء بعضها بالبعض الآخر، وائتلافها فيما بينها ووحدتها. ومن لا قدرة له على هذا الادراك، لا يقدر أن يفهم القصيدة الحديثة ولا الاشكال الشعرية الحديثة.

أضف الى ذلك أنه ليس من جوهر الشعر، في المفهوم الحديث، أن يحفظ أو يطرب، أو أن يكون موجزا أوموزونا، أو محددا بالانواع الشعرية القديمة. هكذا يقلق الشعر الحديث ويثير ويقلب المفاهيم، ويطول ويتنوع، ما شاءت التجربة والموهبة أن يطول ويتنوع.

ثانيا — الناحية اللغوية : اللغة العربية شكل وجرس، في الدرجة الاولى أي قواعد مجردة قبل أن تكون انبثاقا من الحياة أو تطابقا مع الواقع. انها لغة ثانية الى جانب اللغة اليومية الجارية. انها كما يعبر جاك بيرك لغة هبوط على الحياة لا صدور عنها (13). لذلك هي لغة فكرية أوذهنية، وليست لغة حياتية، ومن هنا ثبات أشكالها وتراكيبها.

التعبير الشعري جزء من الحالات النفسية والشعورية، والتعبير لغة. اللغة، اذن، كائن حي يتجدد بتجدد هذه الحالات. واذا كان الشعور الجديد يعبر عن نفسه تعبيرا جديدا، فان هذا يعني أن له لغة متميزة، خاصة يتضح ذلك اذا عرفنا أن مسألة التعبير الشعري مسألة انفعال وحساسية وتوتر، لا مسألة نحو وقواعد. ويعود جمال اللغة في الشعر الى نظام المفردات وعلاقاتها بعضها بالبعض الآخر، وهو نظام لا يتحكم فيه النحو، بل الانفعال أوالتجربة من هنا كانت لغة الشعر لغة ايحاءات، على نقيض اللغة العامة أو لغة العلم التي هي لغة تحديدات.

ان الشاعر العربي الحديث حقا يؤمن أن على اللغة أن تساير تجربته بكل ما فيها من التناقض والغنى والتوتر، وبابعادها كلها. بذلك تبطل اللغة أن تكون ثقافة الذهن كما كانت في الماضي، لتصبح ثقافة الحياة؛ تبطل أن تكون نموذجا جامدا، لتصير كائنا تاريخيا.

ثالثا — الناحية الحضارية : ان تحرر الشاعر العربي الحديث من قيم الثبات في الشعر واللغة يستلزم تحرره أيضا من هذه القيم في الثقافة العربية كلها. ولعل هذا الثبات في الشعر واللغة عائد الى طبيعة هذه الثقافة بالذات.

ان الثقافة العربية، في جوهرها، ثقافة دينية ذات بعد مدني — أي أنها نشأت في أحضان الدين وتحت راية الدولة التي تحميه وتحكم باسمه. وتاريخ الفكر العربي يرينا الى اي حد كانت السيطرة الدينية قوية وحاسمة على المفكرين والفلاسفة، مما اضطرهم الى توجيه ما يكتبونه في اتجاه التوفيق بين العقل والدين، بحيث جاءت الفلسفة العربية الاسلامية بعيدة عن الدين والفلسفة في آن معا، واقتصر دور الفلاسفة على أن يكون دور وساطة ونقل هذه الثقافة كما أشرنا سابقا، تعليمية، لذلك هي ثقافة غير شخصية : اي أنها لا ترتكز على تجربة شخصية، بل على أفكار مجردة. انها طاعة لا حرية، وتلقن لا اكتشاف. من هنا تتضح دلالة البعد المدني في هذه الثقافة، ويتضح خطره أيضا : لا حرية — هذه هي البداهة الاولى في حياة الشاعر العربي، ليس على صعيد التجربة الشعرية فحسب، بل أيضا على صعيد التجربة الميتافيزيقية — ومن ثم في الحياة التي يحياها. فأي شاعر عربي يجرؤ أن يضع هذه الثقافة بأصولها الدينية والآلهية، موضع تساؤل أو شك أو رفض، كما فعل نيتشه، مثلا، وغيره في أوروبا، بالنسبة للمسيحية — حضارة ودينا ؟

الثقافة العربية، والحالة هذه، عالم مغلق، لا معنى فيه للزمان. فالعربي، من الناحية الحياتية يتطور وفق حركة لا نهاية لها ، في حين أنه مرتبط، من الناحية الثقافية بقيم ثابتة يعتبرها صالحة لكل زمان ومكان. وفي هذا تناقض فاجع يعيشه كل منا.

من الضروري، في هذا الصدد أن نشير الى مظاهر التمرد في التاريخ العربي، على الصعيدين الشعري الخاص والثقافي العام، ضد هذا الثبات الذي تحدثنا عنه، وضد الحدود التي يضعها بين الانسان والمعرفة. فهناك على الصعيد الشعري شبه اجماع بين الشعراء والنقاد العرب القدامى على الفصل بين الشعر والدين. وكان هذا الفصل بمثابة الرد على الاتجاهات الدينية التي كانت تحارب الشعر فتعتبره عنصر غواية وتضليل أو تخضعه للأخلاق. (14)

لكن هذا التمرد، على الصعيد الشعري، كان سلبيا واكتفى بأن يبقى الدين "بمعزل عن الشعر" كما يعبر القاضي الجرجاني. أما التمرد، على الصعيد الثقافي العام، فكان جذريا ومتنوعا، يعارض ايمانا بايمان، وحقيقة بحقيقةوثقافة بثقافة(15).

لا بد للشاعر العربي المعاصر، في ضوء ما قدمنا، من أن يتخطى قيم الثبات في تراثه الشعري القديم وفي تراثه الثقافي، على الجملة، لكي يقدر أن يبدع شعرا في مستوى اللحظة الحضارية التي يعيشها. وكما هو طبيعي الا يعتبر أن في تراثه الشعري قيما نهائية، كذلك طبيعي أن ينظر الى تراثه الحضاري من هذه الزاوية. هكذا يصبح التراث العربي، شعرا وثقافة، جزءا من الحضارة الانسانية المتراكمة، المستمرة ولا معنى لهذا التراث الا بقدر ما يندرج في هذه الحضاره الانسانية، وبقدر ماهو انساني، وبقدر ما قوامه الحرية والعقل ولا يلتمس الشاعر العربي المعاصر ينابيعه في تراثه فقط، وانما يلتمسها في هذا الكل الحضاري الشامل.

رابعا — ناحية الخلق الشعري : ليس في تاريخ الشعر العربي ما يشير الى اعتبار الشعر خلقا او رؤيا، فقد اعتبر احساسا وصناعة. لهذا قلما وجه الشعراءالقدامى عنايتهم للمضمون، بل تركز اهتمامهم على الصياغة الشكلية. ولم يكن الناقد العربي ينظر أو يهمه أن ينظر في ما أضافه الشعر أو يضيفه من عناصر التجديد، وفي أهمية هذه العناصر بالنسبة للحياة العربية، الثقافية والروحية، وانما كان يكتفي بأن يبحث فيه عن المتعة واللذة. وهذا مما أدى بالشعراء الى عدم الاهتمام بايجاد أنواع شعرية أخرى غير الانواع التي ورثوها

ولا نجد تعليلا عميقا لذلك غير واقع الثقافة المغلقة التي نشأ فيها الشاعر العربي وتشرب أصولها، ولم يخرج عليها، أو لم يستطع تخطيها، لعلة أو لاخرى.

ان من طبيعة الشعر الذي هو نبوة ورؤيا، والذي هو خلق ألا يقبل أي عالم مغلق نهائي وألا ينحصر فيه، بل يفجره ويتخطاه، فالشعر هو هذا البحث الذي لا نهاية له ـ البحث الذي يظل بحثا. لذلك لا يقدر الشعر ان يتفتح ويزدهر الا في مناخ الحرية الكاملة ـ حيث الانسان مصدر القيم، لا الآلهة ولا الطبيعة ؛ حيث الانسان "هو الكلي على الاطلاق والحقيقة"(16) كما يقول محيي الدين بن عربي.

من هنا يتضح ما قلته آنفا من أن الشاعر العربي الحديث حقا، لا يتخطى فقط الاشكال الشعرية التقليدية ومضامينها، وانما المفهوم التقليدي ذاته للشعر. فلم يعد الشعر، في وجهة النظر الحديثة، مجرد شعور أو احساس، أو مجرد صناعة، بل أصبح خلقا، وأصبح الشعر هو الانسان ذاته في استباقه العالم الراهن وتوقع العالم المقبل. انه "خرق للعادة، كما يعبر ابن عربي، أي تغيير لنظام الاشياء ونظام علاقاتها، وتغيير النظر الى العالم. من غير الطبيعي، اذن، أن يخضع الشاعر لقانون مفروض عليه. انه يخضع فقط لمواهبه وطاقاته، فهو مبدع كل قانون أو نظام شعري.

هذا الخرق للعادة يتيح تغيير العالم، فاذا كان مستحيلا أن يكتب الشاعر شعرا جديدا اذا لم يتغير من الداخل ويعش تجربة جديدة، فان أهمية هذا التغير تزداد في تغير علاقاته مع العالم وفي تغير العالم ذاته. ان من مآسي الشاعر العربي المعاصر أنه يجد نفسه دائما محاصرا سجينا داخل الحياة اليومية، بقيمها وثقافتها الفاسدة المبتذلة، وداخل المظاهر التي هي حدود وحجب دون الحياة الحقة. وربما ألف بعض الشعراء هذه المظاهر، لعلة ما، ورآها العالم الوحيد الممكن بحيث أنه يخنق أي غليان داخلي في أعماقه، معتبرا اياه عبثا ولهوا، ويرضى أن يحيا في جو منسحق أخرس يقضي على أخص خصائصه الانسانية.

من هنا طموح الشعر العربي الحديث أن يصير نبعا من الشرار والفتوة،

أن يصير قوة غريبة خلاقة تبعث برؤاها الجزء الغامض من حياتنا ومصيرنا، وتضيئه وتغنيه. انه يصير الفعل الذي نبدع به وجودنا ونعيد ابداعه باستمرار.

كانت مهمة الشعر العربي في القديم أن يلاحظ العالم، فيجتره ويصفه أما دوره في الوقت الحاضر فهو أن يعيد النظر أصلا في هذا العالم، أن يبدله، أن يخلق ويرتاد ويجدد. انه، الآن، مغامرة في الكشف والمعرفة ووعي شامل للحضور الانساني.

(5)

ليس في اتجاه الشاعر العربي المعاصر هذا الاتجاه، ازدراء للماضي أو انقطاع عن التراث، كما قد يخيل للبعض، وإنما هو استجابة للوضع الحضاري الراهن.

ومن البداهة أن الشاعر العربي المعاصر لا يكتب في فراغ، بل يكتب ووراءه الماضي وأمامه المستقبل، فهو ضمن تراثه ومرتبط به. لكن هذا الارتباط ليس محاكاة للأساليب والنماذج التقليدية، وليس تمشيا معها، ولا بقاء ضمن قواعدها ومناخها الثقافي – الفني – الروحي. فليس التراث عادة في الكتابة أو مواضيع طرقت ومشاعر عونيت وعبر عنها، انما هو طاقة معرفة وحيوية خلق، وذكرى في القلب والروح.

للارتباط بالتراث، من هذه الناحية، معنيان نوضحهما فيما يلي :

أولا – إذا كان يتحتم على شعرنا المعاصر، لكي يكون جديدا حقا، أن يقبض على لحظته الزمنية الحضارية ويصدر عنها، فلا يكون اعادة أو اجترارا أو اي نوع من أنواع الخضوع للتقليد، فان الارتباط بالتراث هنا يكون ارتباط خلق واضافة واستبق.

ثانيا – واذا كان من غير الجائز شعريا، أن نحكم على الحاضر بمقاييس الماضي، فذلك يعني أن هناك نوعا آخر من الإرتباط بالتراث، هو ارتباط التقابل والتوازي والتضاد. ان الشاعر يظل ضمن تراثه مرتبطا به، وان كان غير منسجم مع معطياته التقليدية أو متناقضا معها. فليس التراث الحي خيطا وحيد اللون، أوصوتا يكرر نفسه، بل هو قوى متنوعة ومتناقضة، تنوع الحياة وتناقضها.

اذا بقدر ما نحن بعيدون، تاريخيا وحضاريا، عن أبي نواس مثلا، قريبون منه. لكن يبقى لنا وجودنا الخاص وتجربتنا الخاصة، وبقدر ما ينبغي أن نعي صلتنا به، علينا أن نعي انفصالنا عنه. ان للأثر الشعري وجودا بحد ذاته مستقلا عن اشكال الوجود التي صدر عنها، واذا كان هذا الاستقلال قائما بالنسبة للحاضر فكم هو بالاحرى ضروري أن يكون قائما بالنسبة للماضي.

ثم ان رفض التقليد الذي نتحدث عنه والذي بدأ يتغلغل في الثقافة العربية ويوجه الحركة الشعرية الحديثة، ليس مجرد كلام سهل، بل فعل خلاق. صحيح أنه يولد الغموض والفوضى، ويثير الشكوك والتناقض، الا انه، في الوقت نفسه، علامة الحيوية والوضوح، وانه لدليل تحول أن تكون الفترة الشعرية الراهنة فترة ازمة، ودليل ولادة رؤيا جديدة للشعر العربي. وبقدر ما ستكون تجارب هذه الفترة وأفكارها عميقة وجذرية، فسوف تزداد هذه الازمة اتساعا وحدة.

لا يستطيع الشاعر أن يبني مفهوما شعريا جديدا الا اذا عانى أولا في داخله انهيار المفاهيم السابقة، ولا يستطيع أن يجدد الحياة والفكر، اذا لم يكن عاش التجدد، فصفا من التقليدية، وانفتحت في أعماقه الشقوق والمهاوي التي تتردد فيها نداءات الحياة الجديدة. فمن المستحيل الدخول في العالم الآخر، الكامن وراء العالم الذي نثور عليه، دون الهبوط في هاوية الفوضى والتصدع والنفي.

لقد انتهى عهد الثقافة الشعرية القديمة وعبثا نتمسك به وننفخ فيه، عملنا اليوم هو أن نتخطاه الى عهد آخر وشرط هذا التخطي أن يتفجر مدهشا ومفاجئا، لكي يستطيع أن يهز برودة الحياة وتقاليدها الجامدة.

هذا يفرض على الشاعر أن يتفرد لا في الاشكال الشعرية فقط، بل في التجربة وابعادها، كذلك، يفرض عليه أن يجرب حتى الطرف الاقصى، امكان تحوله، متجاوزا العقبات التي تنهض في وجهه، قاذفا خياله وشعوره خارج كل طريق مرسومة. فالشعر الذي يتكيف مع الواقع الثقافي الموروث، يخون قضية الشعر الحق، ذلك أن هذا الواقع ليس الا تنميقات واقنعة، أعني أشكالا من الحياة خارج الحياة.

ثم ان العالم اطلاقا، العالم الذي نعيش فيه، لا يجوز أن يكون ولا يصح أن يكون، غاية للشعراء واطارا لهم.. انه وسيلة لخلق عالم انضر واغنى. فما أضيق العالم وما أكثر ابتذاله، اذا كان العالم الواقعي، عالم الحساسية المشتركة، هو العالم كله. ليس هذا العالم الواقعي الا بوابة تصلنا بالعالم الكبير الآخر، العالم الذي يفتحه الشعر ويقود اليه.

والحق أن الشعر العربي بدأ يقرع أبواب هذا العالم الكبير الغني، ذلك أنه ابتدأ ان يكون فعل خلاص وتحرر، وان يكون حيث ينقلب دفعة واحدة شكل الفكر والحساسية وحيث يصبح العالم افقا من السر لا نهاية له.

---

(1) "أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد، ثم اتبعه أبو تمام.. ففسد شعره"، (الامدى، الموازنة ص 13).

(2) المرزوقي، مقدمة شرح ديوان الحماسةص 9 وما بعدها. يجعل عمود الشعر "خصالا" منها أن يكون الوصف صادقا في العلوق ممازجا في اللصوق، يتعسر الخروج عنه والتبرؤ منه "وأن يكون المعنى وافيا شريفا صحيحا يقبله الذوق ويختاره ومنها أن يكون الوزن" يطرب الطبع لايقاعه ويمازجه بصفائه، كما يطرب الفهم لصفاء تركيبه واعتدال نظومه، "وأن تكون القافية "كالموعود بـه المنتظر، يتشوقها المعنى بحقه واللفظ بقسطه. "ومنها" أن يقوم كل بيت (في الشعر) بنفسه غير مفتقر الى غيره." ثم يقول : "هذه الخصال عمود الشعر عند العرب، فمن لزمها بحقها وبنى شعره عليها فهو عندهم المغلق المعظم والمحسن المقدم، ومن لم يجمعها كلها فبقـدر سهمته منها يكون نصيبـه من التقدم والاحسان، وهذا اجماع مأخوذ به ومتبع نهجه حتى الآن."

(3) نشير، على الخصوص، الى الكبار بينهم كمحمد بن سلام الجمحي وقدامة بن جعفر وابن رشيق والآمدي والجرجاني.

(4) يقول أبوعمرو بن العلاء عن الشعراء المحدثين : "ان قالوا حسنا فقد سبقوا اليه، وان قالوا قبيحا فمن عندهم." (- الاغاني، جزء 17، ص 12.)

ويقول ابن الاعرابي وهو لغوي مشهور ومن أوائل النقاد : انما اشعار هؤلاء المحدثين مثل الريحان يشم يوما ويذوى فيرمى به، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا."

وكان اسحاق الموصلي يقول عن أبي نواس : "هو كثير الخطاء وليس على طريق الشعراء." ومرة خاطب أبا تمام يلومه لانه لا يسلك مسلك الشعراء قبله — ؛ "يا فتى، ما أشد ما تتكيء على نفسك."

ويصف الجرجاني في كتابه "الوساطة" نقاد الشعراء المحدثين بأنهم فريق "يعم بالنقص كل محدث ولا يرى الشعر الا القديم الجاهلي وما سلك به ذلك المنهج وأجرى على تلك الطريقة." "وكان هؤلاء النقاد يسمون شعر بشار وأبي نواس وأضرابهما " ملحا وطرفا "وكانوا يستحسنون" منه البيت بعد البيت استحسان النادرة"، ويجرونه "مجرى الفكاهة"، أما أبو تمام وأضرابه في نظرهم، فلم "يقرضوا بيتا قط، ولم يقعوا من الشعرالا بالبعد." ص 38، الاغاني — الجزء الرابع، ص 273).

(5) حين سمع بعضهم قول أبي تمام :

لا تسقني مـاء المـلام فانـنـــــي صب قـد استعذبت مـاء بكـائي

أخذ وعاء وذهب يطلب منه في شيء من السخرية قطرات من ماء الملام هذا، فيجيبه أبو تمام بانه لن يعطيه ما يريد قبل أن يأتيه بريشة من "جناح الذل"، وهو يشير الى الآية : "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة..." (الاسس الجمالية في النقد العربي، عز الدين اسماعيل ص 186، القاهرة 1955)

(6) يروي الخليل بن أحمد عن رجل أنشده قوله : ترافع العز بنا فارفنععا، فقال له الخليل : ليس هذا شيئا. لكن الرجل رد قائلا كيف جاز للعجاج أن يقول : تقاعس العز بنا فاقعنسسا، ولا يجوز لي ؟ — (ابن شرف القيرواني، رسائل الانتقاد، ص 326)

ولقي ابن مناذر بمكة حمادا الارقط فقال له : أقرىء أبا عبيدة السلام وقل له : يقول لك ابن مناذر : اتق الله واحكم بين شعري وشعر عدى بن زيد، ولا تقل ذلك جاهلي وهذا اسلامي وذاك قديم وهذا محدث، فتحكم بين العصرين، ولكن أحكم بين الشعرين ودع العصبية. — (الاغاني، الجزء 17 ص 12)

(7) الامثلة على ذلك في شعره كثيرة، نكتفي منها بايراد ما يلي :

لتلك أبكي ولا أبكي لمنزلـــة كانت تحل بها هند وأسماء
حاشا لدرة أن تبنى الخيام لهـــا وأن تروح عليها الابل والشاء.

* * *

دع الاطلال تسقيها الجنـــوب وتبلى عـهد جدتها الخطوب
بلاد نبتها عشر وطـلـــح وأكثر صيدها ضبع وذيب
ولا تأخذ عن الاعراب لهـــوا ولا عيشا، فعيشهم جديـب

* * *

أحسن من سير عـلى نـاقـــة سير على اللذة مقصور

* * *

عاج الشقي على دار يسائلهـــا وعجت أسأل عن خمارة البلد
لايرقىء الله عيني من بكى حجرا ولا شفى وجد من يصبوالى وتد
قالوا ذكرت ديار الحي من أسد لا در درك قل لي من بنو أسد
ومن تميم ومن قيس واخوتهم ليس الاعاريب عند الله من أحد
ببلدة لم تصل كلب بها طنبـــا الى خباء ولا عبس وذبيان
وما بها من هشيم العرب عرفجة ولا بها من غذاء العرب خطبان
لكن بها جلنار قد تفرعـــه آس، وكلـه ورد وسوسان

* * *

قل لمن يبكي على رسم درس واقفا ما ضر لو كان جلس

* * *

(8) من الشعراء الذين حاولوا ابتكار أوزان جديدة أبو العتاهية، وحين قيل له أنه خرج على العروض قال: "انا اكبر من العروض" — الاغاني، المجلد الثالث ص 254، وتضيف الاغاني قائلة عنه: "وله أوزان لا تدخل في لعروض."

ومنهم من حاول الخروج على نظام القافية الواحدة. فكتبوا قصائد سميت المزدوجات، كبشار بن برد، وأبان بن عبد الحميد اللاحقي، وأبي العتاهية، وابن المعتز.

بل أن من الشعراء من حاول التخلي عن القافية. فقد ورد في كتاب "العمدة" لابن رشيق (الجزء الاول، ص 120) أن "الامين بن زبيدة قال لابي نواس مرة هل تصنع شعرا لا قافية له، فقال : نعم."

ويورد الباقلاني في كتابه "اعجاز القرآن" (ص 84) مثالا على شعر خال من القافية هو هذا المثال :

رب أخ كنت به مغتبطـــــا   أشد كفي بعرى صحبتـــه
تـمسكـا مـنـي بـالـود ولا   أحسبه يــغير العـهد ولا
يـحـول عـنـه أبـــدا   فخــاب فـيـه أمــلي

(9) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 16.

(10) لهذا الفشل أسباب، منها ما يتصل باللغة والدين والثقافة اجمالا ومنها ما يتصل بشخص الشاعر نفسه ومواهبه، ليس هنا مجال الكلام عليها.

(11) القديم الذي كان النقاد العرب يعتبرونه النموذج الاكمل، والمحدث الذي كانوا يعتبرونه فاسدا.

(12) تجدر الاشارة الى الاستثناءات في بعض قصائد ابي نواس وابن الرومي، فقد ادخلا العنصر التحليلي بحيث أصبحت معهما القصيدة العربية التي هي تركيبية بطبيعتها، قصيدة تحليلية.

ثم هناك في النقد العربي القديم ما يشير الى نوع من الوحدة في القصيدة فالجرجاني يتحدث عن "استهلال، وتخلص، وخاتمة"، والمرزوقي في مقدمته للحماسة يتحدث عن "التحام النظم والتئامه"، لكن ذلك يظل بعيدا عن المفهوم الحديث للوحدة. فوحدة القصيدة الحديثة تقوم على بنيتها الشعورية والفكرية. كذلك وجدت في الشعر العربي القصائد الطويلة، لكنها كانت مجموعة من العواطف والمعاني والآراء، وليس هناك فكرة عامة توجهها وتسيطر عليها.

(13) راجع "العرب أمس وغدا، ص 173 وما بعدها، باريس 1960.

(14) نكتفي هنا للتدليل على ذلك الاجماع بايراد بعض آراء النقاد، في هذا الصدد.

يقول ابن قتيبة : "هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية، فلما جاء الاسلام سقط شعره." (الشعر والشعراء، ص 170.)

ويقول القاضي الجرجاني : "... فلو كانت الديانة عارا على الشعر وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره اذا عدت الطبقات، ولكان أولادهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الامة عليه بالكفرة ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبعري واضرابهما ممن تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعاب من أصحابه، بكما خرسا.... ولكن الامرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر" (الوساطة، ص 50 — 51)

ويقول الاصمعي : "الشعر نكد بابه الشر، فاذا دخل في الخير ضعف" — (وردت هذه الكلمة في "الاسس الجمالية في النقد العربي" لعز الدين اسماعيل، ص 179، القاهرة 1955)

ويقول ابن ابي عتيق : "لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطة في القلب وعلوق بالنفس ودرك للحاجة ليست لشعر، وما عصي الله عز وجل شعر أكثر مما عصي بشعر ابن ابي ربيعة." (الاغاني، الجزء الاول ص 108،)

ويقول قدامة بن جعفر : "وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه.." — (نقد الشعر، ص 14).

ويتكلم عبد القاهر الجرجاني على الذين زهدوا في رواية الشعر وحفظه وذموه انسجاما مع التعاليم الدينية، فيقول : "لا يخلو من كان هذا رايه من أمور، أحدها أن يكون رفضه له وذمه اياه من أجل ما يجده فيه من هزل أو سخف أو هجاء وسب وكذب وباطل على الجملة، والثاني أن يذمه لانه موزون مقفى ويرى هذا بمجرده عيبا يقتضي الزهد فيه والتنزه عنه. والثالث أن يتعلق باحوال الشعراء وأنها غير جميلة في الاكثر ويقول : قد ذموا في التنزيل وأي كان من هذا رايا له، فهو في ذلك على خطا ظاهر." (— دلائل الاعجاز، ص 9).

(15) نشير هنا الى الحركة الصوفية الى الحلاج والسهروردي، بشكل

خاص. نشر ايضا بشكل خاص الى جابر بن حيان، وابي بكر محمد بن زكريا الرازي، وان الراوندي وغيرهم من المفكرين والفلاسفة الذين ثاروا على التقليدية في الفكر الاسلامي، وتردد في كتاباتهم القول بقدم العالم، خلافا للتعاليم الدينية، وانكار الخلق المستقل والنبوة والوحي، وساد لديهم حب المعرفة للمعرفة ذاتها وحب البحث والثقة بالعقل الانساني انه قادر على اكتشاف الحقيقة بقوته هو، لا تلقينا ولا ايحاء.

ولعل أوضح ما يعبر عن هذه الثورة ضد ثبات القيم ،على الصعيد الثقافي، هو الايمان بالعقل ايمانا لا حد له، وقد عبر الرازي عن هذا الايمان أعمق تعبير بقوله : "وبالعقل أدركنا جميع ما ينفعنا ويحسن ويطيب به عيشنا، ونصل الى بغيتنا ومرادنا. واذا كان هذا مقداره ومحله وخطره وجلالته، فحقيق علينا أن لا نحطه عن رتبته ولا ننزله عن درجته، ولا نجعله وهو الحاكم محكوما عليه، ولا وهو الزمان مزموما، ولا وهو المتبوع تابعا، بل نرجع ، في الامور اليه ونعتبرها به ونعتمد فيها عليه، فنمضيها على امضائه، ونوقفها على ايقافه." — (رسائل فلسفيه لابي بكر محمد بن زكريا الرازي، الجزء الاول ص 18، باول كراوس، القاهرة، 1939). راجع أيضا من تاريخ الالحاد في الاسلام"، لعبد الرحمن بدوي. ومن المفيد بالمناسبة، أن نورد لابن الراوندي نصا يكمل نص الرازي يقول فيه : "ان الرسول شهد للعقل برفعته وجلالته، فلم أتى بما ينافره ان كان صادقا ؟" — (من تاريخ الالحاد في الاسلام، ص 102) (راجع ايضا "الانسانية والوجودية في الفكر العربي" لعبد الرحمن بدوي ص 53 وما بعدها، القاهرة 1947).

(16) انشاء الدوائر، ص 21 — 22).

تعليق الاستاذ خليل رامز سركيس

على مقال «ادونيس»

القضايا الجذرية التي اثارها ادونيس في تقريره تثير بدورها قضايا جمة تتعلق بالشعر العربي ومشكلة التجديد. وعندي من الراي، في هذا الصدد، ان في الشعر العربي، قديمه وحديثه، روائع تتشوف الى عوالم ذات اصالة وغنى. وهذا ما يجب ان يعنينا قبل سواه لانه يمثل انساننا بالكلمة حية قد اديت.

وما احسب الميل عن الماضي، حتى الغربة والانقطاع، هو السبيل الى الخلق الشعري، ولاسيما في ادبنا. ولكن يغلب على الاعتقاد ان الانفتاح هو، بعد الموهبة، عماد العالم الشعري - الانفتاح على الماضي واليوم الحاضر فعلى المستقبل ان امكن، الانفتاح على التراث في شرق وغرب. الانفتاح على الانسان من كل ارض، شرط ان نعنى، اولا، بالانسان الذي هو فينا ومنا قبل عنايتنا بالانسان بعيدا عنا بعد زمن او بعد مكان. فاذا استطاع الشعر، عندنا، ان يرود هذه الآفاق، ارتفع من النحو الانساني الخاص الى النحو الانساني العام، بما للخاص من معاني الحصر وبما للعام من معاني الشمول.

على ان الوفاء للتراث لا يعني التحجر في الماضي الموات، بل هو يعني، في الارجح، الوفاء للماضي الحي، الى العيش في الزمن الحاضر. وهذا ما يبتغيه ادونيس على ما اعرف - ادونيس الذي فيه قلت ذات مساء: مولد الشاعر، كمولد النجم عيد في عمر الكواكب.

خليل رامز سركيس

قصة الشعر العربي على ارضنا حتى العصر الحديث

بقلم : زين العابدين السنوسي

أثر الاحداث في العقول والانفس

لقد كان حادث احراق الاساطيل العثمانية فى نافارينو من بلاد اليونان سنة 1827 ، بما فيها من العمارة التونسية والعمارة المصرية ، كان هذا الحادث حجر الزاوية الذى انثنى عليه التفكير العربى ، واستفاق اثره العالم الاسلامى عامة والعالم العربى خاصة ، طار عن اعينهم الكرى الذى خيم ، فارتج الفكر العام وفتح المدركون بصائرهم ليتحققوا من حالتهم الحقيقية وليقدروا الواجب للخروج من الركود واعتزال أوهام العظمة والعصمة ... فقد عاشوا قرونا فى الاوهام ، حتى لم يبق فى الدهر متسع لما هم فيه .

ثم كان الحادث الثانى ، من احتلال الفرنسيين لمدينة الجزائر ، ثم أخذهم الطريق على الباشا التركى الذى ارسل به الباب العالى على **قطعة حربية** مما نجا من بقية الاسطول ، وكان يحمل العلم الابيض ، اذ تنحصر مأموريته بتسوية الخلاف بين السفير الفرنسى والداى التركى ... ولكن القوات الفرنسية اخذت عليه طريقه وقادته الى مرسى طولون ، على قاعدة اساسية من « الحق للقوة » . فاصبح فى قبضة فرنسا مع داى الجزائر ...

وهكذا راى المفكرون فى أطراف العالم العربى ، ان الامر لم يعد يحتمل التاويل ... وجاوز حدود الاحتمال ، فالمسالة لم تعد محل اخذ ورد وأقاويل تتناطح ... انكشف الستر ، بل هتك ستر التشبث بالماضى ، ولا مناص من تسمية الامور الواقعة باسمائها ، فلا محل لاستماع جعجعة الرجعيين الذين كانوا يجعجعون فى معاهد التدريس بمثل قول الشيخ الباجورى (مصر 1783 ـ 1861) فى متن « الجوهرة » :

فكل خير فى اتباع من سلف ** وكل شر فى ابتداع من خلف

فلقد كانت الوقائع متتالية والتيار عظيما ، بحيث رفع له العلماء والادباء أعينهم ، واختلجت فى انفسهم الخوالج ، ولم يكن هناك محل للشك فى الواقع المحسوس ، وانما الحيرة كل الحيرة **ماذا عساهم يقولون للامة !**

◆ ◆ ◆

فى ذلك الجو القاتم سمعنا استاذ الادب فى المدرسة الحربية فى تونس **محمود قابادو** سنة 1836 يعلن ما لم يكن يجسر انسان على ان يقوله لنفسه .

لقد صارح **قابادو** الامة ورجال الدولة التونسية بحقيقة الواجب ، ولا غرو فلقد كان استاذ الادب واستاذ العلوم الرياضية فى المدرسة الحربية التى كانت

قد تأسست حديثا ... الحقيقة ... الحقيقة الهائلة : **يجب ان نوجه وجوهنا نحو الغرب** ويجب ان نتجه اليها وندرس ما عندها ... ندرس ما عندها ، لا لنحكم عليه ، بل ندرس ما عندها **لكى نقلد اروبا فيما تعمله وتاتيه ،** فكل خير فى الاقتداء بها ، ولا بد لابنائنا ان يسافروا اليها وأن يدرسوا ما عندها، وان يرجعوا الينا بما جهلناه :

فمن لم يجس خبرا وملكها	**ولم يتغلغل فى المصانع فهمه**
فذلك فى كن البلاهة داجن	**وفى مضجع العادات يلهيه حلمه..**
فهم غرسوا دوح التمدن:فرعه الـ	**رياضى والعلم الطبيعى جذمه ..**
لقد فاتنا فى بادى الرأى صوبنا	**وأشفى ـ لعمرى ـ انيفوت ختمه**
تباعد شوطا مقدم ومقهقر	**اذا لم يحن منه التفات يزمه**

« فلا بد ان نصدف عما كنا عليه من الفات وجوهنا للماضى ، لكى نلفت اليوم وجوهنا الى المستقبل ، الى الامام عوض الوراء !» هكذا يصيح قبادو فى جيله .

بحيث نرى اندفاعة عجيبة وتحضيضا جازما ، لاعتناق **الطريقة التقدمية** وان نترك منهاجنا القديم من « الرجوع للماضى واتباع السلف » ونرى **تحضيضا** جازما لاعتناق الطريقة التقدمية الثورية المتجهة نحو « **الابداع** » ، **وهو يجزم** ان هذا الابداع يجب ان يعم **الحياة** الفكرية والعملية ، بما **فيها من سياسة** ورياضيات وثقافة وأدب ، ويعم **الحياة** المادية ، بما فيها من صنائع ونظم واستكشاف ، لكى **نجاريهم** فى جميع ما صاروا اليه :

لقد قتلوا كلتا الحياتين خبرة	**فمن لم يجارهم فقد طاش سهمه (1)**

التطور فى الادب

وهكذا نجد نسمة التجديد قد عصفت بنفوس المشرق ، منذ القرن السالف . وكان اثرها فى الادب بارزا ـ ومن سوء الحظ ان كان اثرها ابرز فى الادب منه فى المصانع والعلم ـ . فدخل فى الشعر عنصر كبير من التحضيض والتوجيه السياسى، تبدلت به مواضيع الشعر تماما من الاحاسيس الفردية الى المدارك الاجتماعية ، فى ذلك الدور الاول (2)

ظهرت بوادر هاته النهضة الجديدة لتقليد الغرب واقتباس ما لديه لابداله بما لدينا .

---

1) ديوان قبادو ج 2 ص 21 طبع تونس

2) انظر منذلك ما اخترناه فى كتابنا «محمود قبادو» طبع تونس سنة 1951

كان من اعلام هذا الدور وعناصر هاته المدرسة، في تونس « **الشيخ محمود قابادو** » (1812 ـ 1871م) ، ثم في بر الشام « **الشيخ ناصيف *اليازجي*** » (1800 ـ 1871) ، حتىظهر فيمصر « محمود سامي البارودي » (1839 ـ 1908)

بحيث رأينا السياسة والاجتماع يأخذان قسما وافرا منادب هؤلاء المجددين، بل ربما راينا هاته المواضيع الجديدة تستقل بقصائد كاملة عند بعضهم ممن تقدم بهم الزمن وهضمت انفسهم الحقيقة ٠ على ان هاته المواضيع الجديدة قد بقيت الى هذا القرن يفوح بها قصائد الرثاء والمديح والغرام ، من المواضيع القديمة فتسوغ من طعمها عند قراء الجيل ٠٠٠

الحيوان الجديد يهيمن على الارض وما فيها

وميزة هذا الدور الاول ، من تطور الادب ، قد كان لها ناحية سلبية وناحية ايجابية ٠

فهي من الناحية السلبية : قد زعزعت مقام الادب اللفظي وزحزحت ظله ، من انواع البديع وعلم البيان ، وتعمد الاغراب في الالفاظ وتعمد اجمال المعاني المبهمه والمغلقة ، وصوغ التشطير وتخميس القصائد ومجاراة قصائد يعينها من عمل «السلف»

ومن الناحية **الايجابية** قد عبرت عن روح اليقظة في الشعور العام ، بحيث ظهر « **الحيوان** الاكبر » ليحل محل « الحيوان الصغير ، الفرد » ٠ فقد كان الشاعر « يمدح الفرد » ويرثي « الفرد » ويهجو « الفرد » ويعبر عناحساساته الذاتية بصفته « فردا » ، كما خلقه الله في بدائيته ٠ بينما أصبح الشاعر في العصر الجديد قد استشعر بوجود حيوان آخر ، اعظم من كل عظيم ، واقوى من كل قوي ، واغنى من كل غني ، وأولى بالتوجه من كل قادر !» هذا الحيوان الجديد الذي نزل الارض بعد ان بادت الحيوانات الزواحف الجبارة التي كانت تستبد بسيادة كوكبنا هذا فيما قبل التاريخ ، من الكواسر البائدة ٠٠٠ وبعد ان تغلب الانسان الفرد على النسور والاسود والثعابين والحياة والنمور بفضل حيله ومصنوعاته وآلاته ، عندما كان الانسان يعبد تماثيل الجبروت ويتغنى ببطولة الصعلوك بشر ابن عوانة في خرافة المقامة التي خلدها لنا بديع الزمان الهمذاني

أفاطم لو شهدت ببطن خبت ٭٭ وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا
اذا لرأيت ليثا ام ليثا ٭٭ هزبرا اغلبا لاقى هزبرا

فهذا العملاقالجديد قد قضىعلى كلالعناترة والفاطمات ذوات الهمة (1) ليهيمن هو على الدنيا فيرث الارض بما في خباياها وبحارها ، ويتطلع لان ينفذ لاطباق السماوات العلى ، ويستعمر النجوم !

---

1) عنترة العبسي وفاطمة ذات الهمة من ابطال فن السيرة ، التي هي القصة الطويلة في آداب القرون الوسطى للعرب

أدب القرن العشرين

فهذا الكائن الجبار الجديد انما هو « **المجتمع** » الذى ورث «الانسان الفرد» وورث ارباب الجاهلية وورث جبابرة المتزعمين فى مختلف اسمائهم فى التاريخ ومختلف مراكز العمران ، حيث لبس الفرد مصلحة الجماعة والقبيلة والامة • فخضع الانسان الفرد **للمجتمع**

اذا فقد نشأ **الضمير الاجتماعى** ونشأت **النظم الاجتماعية** التى اضطرت الامبراطرة والخلفاء والملوك ، وغيرهم من المتصرفين ، الى التنازل عن سلطانهم المطلق الى مجالس الشورى والبرلمانات

وهكذا خضع **الشعر** للمجتمع ، وعبد **المشاعر الاجتماعية بوجدانه** ، مثلما نشأت التسابيح الوثنية لترثها المزامير الالاهية والقصائد الصوفية فى الذات العلية وامداح انبيائه المكرمين عليهم صلوات الله وتسليمه •

كما نشأ الادب الشخصى لعظماء الامم ، من المراثى والمدائح فى قصائد ابن هانى (932 ـ 979) **للخليفة المعز لدين الله** والامراء العبيديين الشيعيين فى عاصمة افريقيا العربية القيروان وفى مقرهم من مدينة المهدية وامراء الزاب الجزائرية ، مثلما نعرفه من تسابيح **المتنبى** لامراء انطاكيا والعراق ومصر ، فهو فى المشرق نظير « ند لزميله ومعاصره **ابن هانى** بالمغرب العربى • ومع انهما لم يجتمعا قط ونشئا على طرفى العالم العربى (شتان بين مشرق ومغرب) فقد كانت عناصر ادبهما واحدة وعناصر بلاغتهما متماثلة ، لان الوحدة العربية كانت تطبع المجتمعات المتباعدة بطابع واحد من اطوار المجتمع الاسلامى فى اطرافه العربية •

وعلى غرار ذلك ، دونت آلاف الدواوين الشعرية للادب العربى فى الاعصر الاسلامية منذ عهد **حسان بن ثابت** ومن عهد **على ابن أبى طالب** ، حتى عصر الدايات ، فى تونس ، للقرن الماضى •

واذ نتحدث عن هذا اللون من ادب المجتمع فى شكل عبادة العظماء الاجتماعيين ، فانما نعنى انه كان اللون الغالب على **شعر ذلك العصر** ، والا فان الادب الغنائى بمشاعر الفرد ، من **الحب والتغنى بالطبيعة** والادب **الفلسفى** وغيرها من تعابير الادب عن النفس البشرية ••• قد كان متتابعا مع الانسان لن ينقطع بتبديل اللون العام الذى يستبد بعموم دواوين الاجيال ، مما يعبر عن عصره وعن واقع جيله ووجدانيات الانسان الفرد •

اذا ، فقد خضع **الشعر** للمشاعر الاجتماعية ، واصطبغت الدواوين بلون الكسوة الجديدة التى لبسها الجيل ، لتواكب هذا الجبار العظيم الذى ورث سيادة كوكبنا الارضى ••• فتغنى شعراء العصر الجديد باحلام الحرية الوطنية وكسر قيود الاستعباد والقضاء على الاستعمار والسيادة والاقطاع

واذا بالنبيل **محمد الشاذلى خزنه دار** يغنى صهره الامير الناصر باناشيد التحرر وآمال الشعب فى افتكاك السيادة واقامة الدستور ، فى تونس ٠

واذا بالنبيل **احمد شوقى** (1868 ـ 1932) يدمج صلوات التحرر فى مدائحه لخديويه فى مصر

واذا **بالرصافى** (1875 ـ 1945) يدمدم للسلاطين بما تحته من بؤس الشعب، ولا يسكت صوته ان اصبح نائباً عن بغدادفى مجلس المبعوثان بعاصمة الخلافة الاستانة العلية ، ولم يسكت صوته فى عصر الاستقلال ان عين مندوبا فى مجلس النواب فى بغداد التى اصبحت عاصمة العراق المتحرر ٠

بينما **مصطفى آغه** (1877 ـ 1946) يميل عن البلاط التونسى تماما ، ويعرض عن انواع الادب القديم ، لينشد فى « البرى المضطهد » ومشاكل المجتمع الحديث من تحرير المرأة والخروج من رواسب الحضارات البائدة وتكسير القيود

وكان **جميل صدقى الزهاوى** (1863 ـ 1936) يتغنى فى اقصى المشرق العربى بأناشيد الانطلاق والتحرر من الماضى صبرة واحدة ، مرددا :

كرهت كل قديم عرفته فى حياتى ٠٠ فان تكن ذا جديد من الحياة فهات

◆ ◆ ◆

شعرنا فى العصر الحديث

كانت الحربان الاوروبيتان (الاولى 1914 والثانية 1939) قد كسرت من قيود الماضى واغلال التكتلات التاريخية، فمهدت لثورة جديدة قد عصفت بالمجتمع والاداب وبما كان فيه **الشعر** وكان التقدم فى مكتشفات الكهرباء والآلات وعلوم الفيزيا والانسانيات والاخلاق ٠٠٠ قد عصفت بالادب القديم فى اوضاعه واغراضه وطرقه وبنيته ٠

ولا غرو فقد طويت الابعاد واخذ الناس من آذانهم لسماع بعضهم بعضا والتواصل والتحادث مباشرة ، مهما تكن اقطارهم متباعدة على مناكب الارض وقطبيها ٠٠٠ فيتسامعون ويتسامرون ٠٠٠ بل يرون بعضهم بعضاً وهم على ابعاد ، ويصورون الاعماق القاصية والنائية مهما كانت٠ بحيث اصبحت الحقائق الوجودية فى متناول الاسماع والعيون لتغذى العقول والاذواق ، اذواق الخاصة والعامة، نفوسهم وعقولهم، على السواء ،مهما تكن اوضاعهم وبيآتهم والوانهم٠ بما سقط اسوار المسافات وبما تبدل من خطوات الاصوات والاضواء

وكان لتعميم التعليم وموجة التثقيف وتوجيه الشعب فى تخطيطات متواكبة ٠٠٠ وكان لتزاحم الدول على رفع مستوى الثقافة العامة وتوفير الكليات والجامعات التى انزرعت فى العواصم والمدن ولحقت القرى والمشاتى٠٠٠ وكان لانتشار السينما والسيارة والمسرح والطيارة والكتاب والمجلة

والراديو ··· عاصفة تيارات قد اخذت الركـود العقلي والنفسي وطورت من اذهان الشعوب وانفس وعقول الافذاذ والنوابغ ···

فلا بدع ان يتأثر **الشعر** وتعم الثورة مواضيعه وصيغه والفاظه واوزانـه وقوافيه ، بما خلق في الانسان وجدانا وشاعرية جديدة تواكب ما اصبح فيه· وقد وفر للمواهب الامكانيات التي لم تتوفر للجيل الذي نشأ على رأس القرن العشرين ، الذي عشناه ··· وكيف لا يتأثـر الشعر بهذا الانقلاب وهـاته الثورة المشبوبة التي قلبت كثيرا من محارم البارحة ، فجعلتها مباحات ، بـل جعلت من تلك المحارم فروضا وواجبات لا مناص للانسان ان يباركها بما خضع له من مصلحة المجتمع التي توسعت على حساب حقوق الفرد وحريته وامتلاكاته

وفضلا عن ذلك ، فان الاديب لم يعد يقصر ادبه على طبقة النخبة وحدها ، بل طلب ان يكون في متناول عموم العقول والمدارك ··· في العالم أجمع ··· بسودانه وشقرانه وصهبه المثلوجين ومرمضيه !

انقلبت الاية، وتحول الواقع الانساني فتبدلت الاذواق والانفس والتعابير، وتحرك الوجدان بشعور جديد تنغمت به السن **الشعراء** في منـاكب الارض وانغام جديدة قـد اصبح يستطيبها ابن العاصمة من المدن وابن الباديـة في اقصى القطر

لقد كاد شعر اليوم ان ينكر أدب البارحة·اذ تبدل عنه في ترانيمه واوزانه وفي تفاعيله وقوافيه وفي مواضيعه ومراميه

الحب في الشعر الجديد لم يعد **حب ليلى وقيس بن الملوح** ، ولا بقى شيء من **روميو وجوليات** ··· بل اصبح صنفا آخر يفغر الاباء به افواههم ولا يكادون يدمدمون بشيء الا همسا وفي استخفاء ! اذ قام على الشوق المتكافىء والكفاءات المتوازنـه ، مما استوت فيـه موسكو المتطلعة ونيورك المزاحمه ، ثم هو في الكويت باقصى المشرق العربي على الخليج الفارسي ، وفي القاهرة المعزية وفي تونس والمغرب ··· يصلى الى القبلتين، جميعا ، بعدان التفت وجهه عن السلف الصالح وحياة القديسين من عهد العذراء عليها السلام ·

والاجتماعيات ، التي كانت على راس قرننا ، في ادب آغه وصالح السويسي القيرواني (1878 ـ 1943) والطاهر الحـداد شاعـر تحـرير المـرأة والعمال التونسيين ··· كانت تقوم على الرحمة بالفقير والمطالبة بالرعاية ··· قـد انقلبت الى حقوق نخضع اليها ويحميها تكافـل الجيل وعمل الـدولة والقضاء

والعقاب ··· والملكية الفردية قد رقمتها المصلحة العامة التى سيرتها النظم الجديدة لقطع دابر الاقطاعية ، حتى ان شطرا كبيرا من العالم قد الغى الميراث الذى كان يعتبر « احل الحلل مما لن يدخله التحريم » فأصبح عندهم « حراما » يعاقب من اخفى حقه منه واحتجزه لنفسه · الامر الذى رأينا قرنه ينجم فى وسط من عالمنا العربى فيصفق له فقهاء منه ويتغنى به شعراء فيعومون فيه على البحور القديمة والجوابى المحفورة حديثا ··· فخلق لنفسه كتبا ودواوين كنا نسميها لبضع سنوات « اباحية » فاصبحت « حرية » و « ثورة انطلاق من رواسب القدم » · ولن نغمط بعض هذا الشعر مرتبته الوجدانية ··· ورأينا فيه آثارا قد لا تقل فى عالم الانفس عن تفجير الذرة فى عالم المادة ··· بما فى هذا التفجر من أنين وضحك السرور والفـرج ، وبما فيه من مغانم انسانية حضرية او ما يهدد هذا المجتمع بالفنـاء ! ونحن لا نشك ان الـذوق السليم سيكتب « بقاء الاصلح » ليعم الارض هذا العنصر الملائكى بعد ان سكنه عبيد الشيـاطين ·

اذا امكننا فى مقالنا هذا ان نلخص **قصة الشعر** فى قصة الانقلابات الذهنية لهذه البشرية ، فان بسط كل هاته الادوار قد اقتضى 20 مجلدا من مخطوطنا (تاريخ الادب العربى فى تـونس) ، ولن يسهل علينـا اليوم ان نعدد ابطاله ونماذج ادبهم ، فى كل دور من تلك الادوار المتعاقبة · وحسبنا ان نلحظ ان كتابنا « الادب التونسى » الذى نشرناه منذ 35 سنة (طبع تونس) قد حصحصنا فى مجلدين منه 26 شاعرا ، قـد توفى اكثرهم الآن ، ومـع ذلك فان قـائمة الشعراء التونسيين اليوم تبلغ 470 شاعرا · فلن يتسع هذا المقال لاستيعاب عناصر هاته النهضة ، ولو فى اعلامها من الشعراء ، لملاحظة الـوان شعرهم واتجاهات شعورهم وبما يغمرهم من وجدان ·

ز· السنوسى

الحرية في الشعر الجزائري المعاصر

بقلم : صالح الخرفي

(الحرية) : أقصد بالحرية هنا مفهوما بعيدا كل البعد عما قد يتبادر لذهن القارىء من هذه الظاهرة التجديدية التي حررت الشعر من الوزن والقافية فكانت له أحيانا وعليه غالبا. أقصد هذه العروسة الحسناء التي لم ينقطع تطلع الجزائري اليها، منذ وطئت أرضه أقدام الاستعباد وخنق الحريات، هذه الحسناء التي لم يغل المهر في سبيلها منذ ما يزيد عن قرن وربع، مهر الدماء والضحايا، هذه الغاية التي تستميت الجزائر اليوم في سبيلها، وتتحرق دماء وشوقا الى استطلاع محياها كما قال ابن باديس في يوم من الايام: «آه، آه، أيتها الحرية المحبوبة، واشوقاه اليك، بل واشوقاه اليهم، المحيا محياهم، والممات مماتهم، أنقذ اللهم بهم وطنك، انني عدو أعداء الحرية وحبيب أحبابها، سواء كانوا من أهل البرانيط أو من أهل البرانيس.»

وقد تتعب أخي القارىء — حين تحاول أن تجد الحرية باسمها في كل سطر تمر به في هذا المقال، قد تغيب عنك الصفحة والصفحتان، وما ذلك الا لانها قد اتخذت لنفسها اسما آخر، ولم تتغير مسمى، وفتحت لكفاحها واجهة جديدة. فليست الحرية سلاحا في كل وقت ولا هي دم في كل انتفاضة فقد تستعيض بالسلاح قلما، وبالدم حبراً وبالانتفاضة لبودا، وبالقلعة مدرسة وتبقى هي هي في مفهومها ومسماها، مهما تشعبت بها السبل، وتعددت لها الوجهات، وأنت أدرى مني أيها القارىء، بالظروف العصيبة التي مرت بالجزائر، فجعلت الكفاح فيها مخبراً أكثر منه مظهراً، ومقنعاً أكثر منه سافراً وما الحرب الا الكر والفر، ومن الفر توطئة قد لا يتم الاقدام الا بها :

يلبد الورد السبنتي وله بعد افتراس

(الشعر الجزائري) ! الفصيح طبعا، وليس معنى هذا الحصر الاستهانة بخطورة الشعر الجزائري الذي قيل بلغة فرنسية، وذلك التراث الخالد من شعرنا الشعبي فلكليهما أياد لا تجحد في المضمار الوطني، وكلاهما ساند

وعزز الانتفاضات الثورية التي مادت بالاطلس وسفوحه. وناهيك بالشعر الشعبي، الذي لا يزال يعتبر السفر الخالد الذي سجل لكل انتفاضة نبضاتها ولكل ثورة حركاتها وسكناتها، وواكب الركب التحرري حذوك النعل بالنعل مدلجا معه ليلا، أو مختبئا وإياه نهارا متسلقا جبلا، أو متفيئا ظل شجرة، حاديا له، أو مترحما على من سقط منه شهيدا، تلك لقطات لم تغادر عدسة الشعر الشعبي منها صغيرا ولا كبيرا، سجلتها بكل أمانة وإخلاص، وبما عرف عن هذه الجموع الشعبية من براءة في الحكم، ونزاهة في النظرة.

كلها مزايا أعلمها حق العلم، ولا تجهلها أخي القارىء، وتستوجب منا البحث، وتتطلب منك إمعان النظر فيه، ولكننا بصدد شعر عربي فصيح، متراميا في أطرافه وموغلا في مجاهله:

يتلون الخريت من خوف التـوى فيها، كما تتلون الحربـــاء

شعر يغزر مادة، بقدر ما ينضب مصدرا. تنوء به الصحيفة — ان وجدت — فيحتمي باللسان، وقد تكمم الافواه، فيعيش في نبضات القلب حتى يتبخر معها، شعر يذكرنا بعصر ما قبل التدوين، فان كان الجو [illegible] الكتابة سببا في الرواية آنذاك. فما أجدر الارهاب وخنق الانفاس، وابادة الفصحى، أن تكون سببا في أن يعيش شعرنا الجزائري المعاصر على الرواية الشفوية، يعيش مع الراوي، ويتوارى بفقدانه، وقد يحتفظ به الراوي أو الشاعر لنفسه، دون أن يتجاسر به وسط الجموع، فيضع نفسه في قفص الاتهام، وينصب له القاضي المستعمر نقطة استفهام؟ قل أن ترضى بغير دخول السجن، أو النفي.

تلك عقبات أقدمها عذرا لعدم التفاتي في هذه الصفحات لغير الشعر الفصيح. وان مجرد حصر المجهود في هذا المجال اللامتناهي في اتساعه لمسؤولية ينوء بها الكاهل. ويئن القلم تحت وطأتها، فكيف نحاول أن نشعب النظرة، ونمد الرجل على غير قدر الكساء، ولعل الفرصة غدا تسمح بمعالجة ما قصرت اليد عنه اليوم.

(المعاصر): قد أكون ضيق الصدر في مفهومي للفظة المعاصر هنا، فأنبه أخي القارىء بأنني أرمي من ورائها الى الفترة التي تمتد من 1832 حتى 1954، ولهذا التحديد أسباب منها:

أن شهرة الامير عبد القادر بطولة سيف، وبطولة شعر، جعلته علما من أعلام هذا المهيع الثوري الذي يمتد من دخول فرنسا الجزائر حتى اليوم بل هو أول الاعلام وأوضحها في هذا الطريق الدامس، لتوفر المصادر التي تناولته، وصيانة أغلب ما قاله من شعر، فلا بدع أن نبتدىء به المرحلة، وإن كنا نعتقد بوجود أشعار جابهت الاحتلال قبيل تولى الامير للقيادة(1) ولا شك من أن هذا الشعر الذي وقف في وجه الاحتلال لن يكون الا بطوليا يساند السيف الذي يحدوه أو يتغنى به، كما سنرى من شعر الامير. ولكنا نرجىء البحث في مرحلة ما قبيل الامير الى فرصة تمكننا من الاطلاع على مراجع هذه الفترة وما ثبت لها من نصوص شعرية.

ذاك طرف أول في المرحلة المعاصرة بيناسبب الاقتصار عليه، وقد يتساءل القارىء عن سبب التحديد في الطرف المقابل، وهو تساؤل له مبرره، فأي كاتب يتكلم عن بطولة جزائرية ثورية، شعرا كانت أم سلاحا، ويغفل الثورة الخالدة التي نعيشها بدمها وبالحبر الذي يسجل هذا الدم ولا يقل قداسة عنه.

الامر كذلك، غير أن الثورة الاخيرة في نظري ثورة متميزة في كل نواحيها وهي الزبدة التي تمخضت عنها سلسلة ثورات لم تسقط حلقة منها منذ احتلال فرنسا الجزائر حتى يومنا هذا. وهذا التميز للثورة الاخيرة يطلب تمييزا في تناولها بالبحث، وانفرادا بها في المعالجة، وتفرغا كاملا يغوص على مكنونات أعماقها، وتوسعا متراميا يشمل كل آفاقها فبذلك ننصف الثورة بحثا وتمحيصا وننصف القارىء اخلاصا لذلك البحث وهذا التمحيص والثورة الاخيرة لها نهاية، ونهاية محتومة تكتمل بها حلقتها، ويكتمل التسلسل تبعا لذلك. فلنترك الشراع تسوقه الهمم الى الشاطىء المرسوم، فاذا رست به الموجة وهدأت الريح، أمكن للباحث إمعان النظر، وسهل على القارىء تتبعه والحكم له أوعليه.

حرية المعركة

إذا عرفنا أن لفظة الحرية تبرز الى الصفحات حين لا تجد متنفسا في

(1) نزلت القوات الفرنسية في سيدي فروش 14 جوان 1830 وبويع الامير بالقيادة سنة 1832 وعقدت له بيعة ثانية سنة 1833

ميادين القتال، وتتوارد على أطراف الالسنة حين تضيق عنها أطراف الاسنة، أدركنا مدى المتسع البطولي عند الامير والذي وجدت فيه لفظة الحرية متنفسا لصعدائها، فتوارت في أشعاره، بقدر بروزها في مواقفه. وتبخرت في حبر قصائده، بقدر انصهارها في الدم الذي يقطر من سيفه وأي تغن بالحرية شعرا والسيوف تتغنى بها دما، وأية قيمة لاجراس لفظية ؟ ودوي البنادق، وقتام السنابك يكسوها معنى ما أشد غناءه، عن أن يتلبس بلفظ.

فالحرية عند الامير متوفرة على أوسع نطاق، ما دامت السهول والاودية تمتد أمام طرفه الثائر الى ما لا نهاية، قال مخاطبا زوجته :

سلي البيد عني، والمفاوز والربى وسهلا وحزناكم طويت بتر حالى

والحرية خفاقة الجناحين عند الامير، ما دام يعلو صهوة سابح. لا يلوي عنانه جبل شامخ، أو واد سحيق، ولا رمح طائش، أو سيف مسلول :

واشقر تحتي كلمته رماحهم ثماني، لم يشك الجوى، بل وماالتوى
فما ارتد من وقع السنان عنانه الى أن أتاه الفوز راغم من عوى

وقد ترغب زوجته في أن تحد من حريته، شفقة وخوفا عليه من الهلاك فتعيد الينا صورا بطولية للمرأة العربية الضنينة بحبيبها البطل، فتعاتب حاتما على اسرافه في الكرم ، أو تعاتب عنترة على اسرافه في الاقدام، قالت زوجة الامير :

فقالت : أيا ابن الراشدي لك الهنا كفى فاترك التيار واحمد وجى النوى.
أيا ابن خلاد تطاولت للعلا
فيجيبها بقوله :
ويا بنت مأواك الكريم وما حوى

ومدلول الحرية في ميدان القتال : هو أن البطل يملك زمام تلك الحرية ، فيرخيه أو يجذبه على حسب ما تمليه البطولة الذاتية، لا خضوعا للقوة المفروضة من الخارج. فما دام الساعد أهلا لقبضة سيف. وحد السيف أهل للاطاحة براس عدو، فتلك هي الحرية الامتناهية، ولو خنق أنفاسها قتام.

الحرب. وضيق دائرتها استحكام العدو، ولذا نجد الابطال عادة لا ينتشون الا حينما يقرع آذانهم صوت النفير :

قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا

وتصبح المعامع أعراسا، وصليل السيوف زغاريد، وهي نفس الصورة التي رسمها الامير في رسالته الى الجنرال (بيجو) :

"... وبالجملة فنحن لا نترك فرنسا وقتالها ، ما دمتم في طغيانكم تعمهون، وفي سبيل أعدائكم تمشون، والحروب تربينا عليها، وتغذينا بلبانها، فنحن أهلها من المهد الى اللحد. ومما علم من كتب التواريخ القديمة. أن العرب يبتهجون في معامع القتال، كما يبتهج العروس ليلة عرسه، فلا يخطر ببالكم أنهم يضجرون منها، أو يتركونها من ذات أنفسهم ما دامت الاقدار الالهية مساعدة لهم.»

والنظرة نفسها الى الاشياء تتغير راسا على عقب نتيجة لهذه النظرة البطولية وتكتسى المظاهر الحربية من جثث ودماء، وأسلحة مفلولة - صبغة جديدة، لو اصطحبناها في غير الحرب لكانت مدعاة للاشمئزاز. فألذ شيء يؤكل هو لحم العداء والخمر المعتقة دماؤهم، وأقحاف الرؤوس كؤوس، قال عنترة :

وقدما قد شربت دم الاعادي بأقحاف الرؤوس وما رويت

وتاريخ عنترة يعيد نفسه عند الامير، بنفس المقاييس، ونفس الصور، يقول الامير :

وألذ شيء عندهم لحم العدا ودماؤهم كزلال عذب المنهل
النازلون بكل ضنك ضيق رغما على الاعدا، بغير تهول
لا يعرف الشكوى صغير منهم أبدا، ولا البلوى اذا ما يصطلى
يوم الوغى يوم المسرة عندهم(1) موت الشهادة غبطة المتسول

(1) في هذا المعنى قلت أبياتا من قصيدة سينية :

أوما سمعت بيوم (عين عبيد) والابطال صرعى مالها أرماس
أو ما سمعت صدى الزغاريد اعتلى من نسوة أكبادهن تداس
وإذا سرت في الشعب صهباء التحرر، فالمعامع عنده أعراس

فدماؤهم وسيوفهم، مسفوحـــــة ممسوحة بثياب كل مجندل

وعجز البيت قبل الاخير، يعطينا صورة مبدعة لجانب من جوانب الحرية البطولية، بل الجانب الاعز منها، فاستشهاد البطل الذي يعد الحد الحتمي من حريته، والستار الذي لا مناص منه لاختتام مسرحيته، هذا الاستشهاد يفسره البطل تفسيرا لا يتخلى قيد أنملة عن المقاييس التي يزن بها الاشياء، فالاستشهاد ليس حدا من الحرية، ولكنه باب إلى حرية أبدية، إلى الخلود الذي لا يمسه فيه نصب ولا لغوب، فلا بدع أن يتسول الشهادة، ولا غرابة أن يريق – لا ماء المحيا – بل دم المهج في سبيل العثور عليها : "موت الشهادة غبطة المتسول"، ويؤكد نفس الفكرة في بيت آخر :

لا يحزنون لهـالك، بـل عندهـم موت الشهادة غبطـة المتسـول
مـا الموت بالبيض الرقاق نقيصــة والنقص عندهـم بموت الهمـل

فالبطل المؤمن بما وراء مصرعه، لا يرى في استشهاده إلا احرازا على شهادة تؤهله لحرية أوسع، فهو مبلبل العاطفة، متقد الشوق، لا يهدأ له بال، ولا يغفو لهجفن، حتى يطل على هذا الافق الواسع، حين يتدحرج على صخرة شهيدا. أو يهوي من متن فرسه صريعا، وتحسوا على مثل هذا الشرف، وعضا للبنان على فواته، قال خالد بن الوليد : « شهدت أكثر من مائة موقعة، ولم يبق من جسدي محط اصبع دون ضربة سيف أو طعنة رمح. ثم أموت على فراشي كما يموت العير !؟ »

على أننا حين نلقي نظرة عابرة على بعض فقرات وردت في الخطبة التي القاها الامير غداة مبايعته بالقيادة. نتلمس الخطوط العامة لثورته التي دامت سبعة عشر عاما. وندرك الغايات البعيدة التي يرمي لها من وراء تحمل مسؤولية الامارة مع جسامتها، وتلك الخطوط العامة، وهذه الغايات تقرب وتبعد ولكنها تدور في فلك واحد هو فلك الحرية التي يجب توفرها لكل انسان ذي كرامة، وقد تملى المصطلحات المعاصرة للامير أن لا تطلق الحرية باسمها، ولكنها تتراءى شفافة وراء تعابير تمليها الصبغة الاسلامية التي اكتستها ثورته، قال في ثنايا خطابه :

« ... وقد قبلت بيعتهم وطاعتهم، كما أني قبلت هذا المنصب مع عدم ميلي إليه، مؤملا أن يكون واسطة لجمع كلمة المسلمين، ورفع النزاع والخصام من بينهم، وتأمين السبل... وحماية البلاد من العدو، واجراء الحق نحو القوي والضعيف...

فاجراء الحق نحو القوي والضعيف أسمى غايات الحرية، ورفع النزاع الذي زرعه المستعمر بين الاهالي ليجد من فرقتهم سبيلا الى سيادته، وتأمين السبل وتطهيرها من ألغام بشرية جندها أو خدعها المستعمر. كلها نظرات بعيدة الى افق ملؤه الحرية والامن، لا يباغت فيه المدلج بقاطع طريق، ولا يمزق فيه الرحم بنزاع أو خصام. يتساوى فيهالقوي والضعيف أمام الحق لا يهيض الضعف جناح الضعيف، ولا تقيل القوة عثرة القوي، ولوذهبنانتلمس مبادئ الثورة الفرنسية، لما وجدناها توغل الى أبعد من هذا في ما ترمي اليه.

ولعل الامير وفق الى تجسيم ما لوح به في خطابه، والى تحقيق الاماني التي تراءت له وهو يتسلم راية القيادة، كيف لا ! وهو الرجل الذي تسبق أفعاله أقواله :

رفعنا ثوبنا عن كل لؤم وأقوالي تصدقها الفعال

وتصديقا لاقواله صار في أصحابه سيرة الفاروق في أول الاسلام، وما الفاروق الاعنوان الحرية والعدالة والمساواة، والنظر الى الناس وكأنهم أسنان المشط، كل بما قدمت يداه، من بطأ به عمله، لم يعجل به نسبه، وهو القائل : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا، فلا بدع أن يشبه الامير نفسه بالخليفة العادل في غير ضعف، الحازم في غير عنف، فيقول :

وقد سرت فيهم سيرة عمرية وأسقيت ظاميها الهداية فارتوى
وإني لارجو أن أكون أنا الذي ينير الدياجي بالسنا، عندما لوى

تلك هي الحرية بمسماها البطولي العملي عند الامير وفي أشعاره. وهو مفهوم ساير الثورات التي تلت ثورة الامير دون انقطاع في أنفاسها، فعرفت الحرية كفاحا وتفانيا، قبل أن تعرفها تغنيا بها في الاشعار، أو إشادة بها في الخطب، تجرعت من الدخيل مرارة الظلم، فجرعته مرارة الاستماتة

في الميدان، وعاصرت الاحتلال مقاساة ومعاناة. فقدمت من تجارب أبطالها مسرحيات تتساوى ومرارة المعاناة ووثبات تتماشى وآلام المقاساة.

فلا غرابة أن تنضب فترة ليست بالقصيرة نضوبا أدبيا، بقدر خصوبتها بطوليا، وحين يجد الباحث مجالا للاحصائيات الدامية للمعارك، والتعداد المضرج لجرحاها وشهدائها، فمن التجني على قداسة المعركة أن لا يقتنع بذلك فيحاول العثور على صفحات أدبية معاصرة للمعارك، ولله در أبي تمام حين قال:

السيف أصدق أنباء من الكتب | في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح، لاسود الصحائف في | متونهن جلاء الشك والريب

وإذا عرفنا أن الاثر الادبي – الشعري منه بالخصوص – يحتاج إلى ثلاث مراحل يمر بها قبل أن يصل الى يد القاريء ،وهذه المراحل هي : التأثر – الهدأة – الانتاج –، فان المعارك الحامية التي توالت في الجزائر لم تعرف الهدأة التي يستوجبها الاثر الادبي ليجد طريقه الى نور الحياة، بل تلك المعارك لم تتجاوز حد مرحلة التأثر. فالفترة الاحتلالية للجزائر التي تمتد الى ما يزيد عن قرن ونصف. يراها المنصف للتاريخ فترة ثورة متصلة الحلقات لم تعرف الهدوء ولا السكينة في سنة أو سنتين الا لتندفع أعنف ما يكون الاندفاع ولم يخامرها الركود في شبر من أرض الجزائر، الا لتندلع بركانا في واجهة أخرى.

حرية التفويض

ر على الجزائر حين من الدهر استطاع المستعمر فيها أن يمكن رجله من الارض ولو الى حين. فلا تلبث أن تميد به مرة أخرى، لكن النفس الجزائرية التي لم تعرف الاستكانة عز عليها أن تحني الرأس للمستعمر في تلك الفترات الحالكة من الظلم والاضطهاد فراحت تبحث عن متنفس لحريتها التي تبخرت مع أنفاس الشهداء في ميادين القتال، ولما آبت الكتائب المفلولة الى المدن والعواصم علت نفسها بحرية في الفكر والمنطق تستعيض بها ما قصرت عنه يد البطولة السلاحية، ونهضة في ميادين الثقافة والاجتماع لا تقل ثورية عما عرف عن فرسان القتال في الجزائر.

لكن المستعمر الذي استمات في خنق الانفاس ماديا، لن يحررها معنويا وهو يعرف أن الاولى نتيجة للثانية، فلذلك لم يترك بصيصا من النور يتراءى للقابعين في ظلمات الظلم، بل بالعكس فقد زج بهم في غياهب السجون والمعتقلات. والسجن والمعتقل في فترة من فترات الاستعمار في الجزائر، بل في كل فتراته، ليعتبران الافق الواسع لحرية السجين(1) بل إن النهاية الطبيعية المحتومة لكل من حمل السلاح في وجه المستعمر وتسلطت عليه يده : هي المقصلة على مرأى ومسمع من الجمهور.

اتجاه هذا الخنق المعنوي لم تجد النفس الجزائرية التي خانها الحظ في العثور على متنفس بين قضبان السجون. أو تحت صليل المقصلة، وقعد بها حظها في بؤرة عفنة من الاستبداد الحسي والارهاب الفكري، لم تجد بدا من التماس جو تجد فيه راحتها، وتفسير ما حل بها تفسيرا تفوض فيه الامر للخالق، وتستريح فيه من عناء الضمير وتأنيبه فالامر كله قضاء وقدر لا دخل للعبد فيه، وإذا قضى الله فلا راد لقضائه. شان المؤمن اذا حزبه الخطب وخانته الحيلة في الافلات فوض الامر الى الله، وتنفس الصعداء في هذا التخريج للمصيبة الجاثمة.

ولا أفسر هذا الاتجاه الصوفي الذي طغى على الجزائر في تلك الفترة(2)، وهذه الموجة الروحية التي غمرتها، الا تفسير الملتمس لحريته من الشطحات الصوفية، بعد أن قعدت به الشطحات البطولية، ورغبة العثور على نسيم لها بين الزوايا والقبور حين تبخر في جو خنقه ظلم الاحياء واستبدادهم، ويوم كانت العزيمة البطولية في الجزائر تستنفد المعارك كل طاقتها، وتستهوي الدماء بالغ اهتمامها، لم يبق لها من الدقائق الجوفاء ما تفكر في تعويضه بواجهات أخرى صوفية كانت أو اصلاحية. ولكن يوم أن صوح العمر من أي وثبة نضالية، أزهر بالشطحات الصوفية، والشعب الذي عرفنا أبناءه

(1) سنتكلم عن ذلك في فصل قادم

(2) نستطيع أن نحدد هذه الفترة بما بين 1880 حتى 1910 عند انبعاث أول صوت اصلاحي. ووراء هذا التحديد نظرة خاصة نستعرضها في الحلقات القادمة.

أحلاسا لظهور الخيل، رأينا من أبناءه أحلاسا لقباب الزوايا. ولا أجانب الصواب اذا قلت أن هذه الظاهرة الروحية تبين لنا بدقة مدى‌صلة الرحم بين الجزائري وحريته، فهو لا ينفك يلاحقها ملاحقة السمكة للماء حتى في أحواض تصبيرها وتجفيفها ولايزال يتفنن في توجيهها — لاأقول التوجيه الاصلح — فهناك من التوجيهات ما أصبح قيدا لحريته، وشلا من انبعاثها. وهناك من التوجيهات ما اعتبر رمادا هيل على جمرة هذه الحرية ولكن حسب الموجه ارضاء لضميره أن يكون باعثه على ذلك هو الجري وراء حرية مفقودة، والعثور على هذه العنقاء أغلى ما تشرئب اليه العين، أكان العثور على غصن شجرة من قمة جبل أو على قبة ولي في مجمع أموات.

وطبيعي أن لا ننتظر من هؤلاء الابطال في شطحاتهم أدبا ثوريا، ولا تغنيا بالحرية على ما عهدنا وما سنعهده. فهم قد فسروا الثورة تفسيرا أملته الظروف وتغنوا بالحرية تغنيا فرضته الاحكام الخانقة، فقد استعاضوا بالقصائد الثورية قصائد مديحية، وتغنوا بالماضي المجيد سلوانا عن الحاضر الشقي، وضرب بينهم وبين المستقبل بسور من حديد، فكفكفوا الدمع بالتفاتة الى الغابر. ولله در شوقي حين قال :

وإذا فاتك التفات الى الما ضي، فقد غاب عنك وجه التأسي

ورويدا رويدا غرق الشاطحون في غمرات الروحانيات، وطوحت بهم الموجة بعيدا عن شاطىء واقعهم. وواقع شعبهم الاليم، والفت القصائد المطولة في المديح، مدح آل البيت والاشراف والاولياء، بل ألفت الدواوين في ذلك، وحين تحاول العثور على اسم الجزائر في هذه المطولات سيخونك الحظ، كأن المؤلف والقصيدة وردا على هذه التربة الشقية من بعيد، والواقع عكس ذلك تماما، فالمؤلف جزائري والطبعة جزائرية، وفي غمرة المآسي والآلام، وأوج الاضطهاد الاستعماري، ولعل النقطة الحساسة في الموضوع لم تعد جزائرية، وهي هذه النفس الذي كتبت أو أملت، فقد خدرتها الا ضاليل، وختمت عليها الاباطيل فأصبحت في واد وشعبها في واد آخر.

خذمثلاديوان(المنار)(1) لمؤلفهعاشور بن محمد،المشهور ب :(كليب الهامل) وصاحب الزاوية المشهورة :(زاوية الهامل)، والديوان بعنوان : (منار الاشراف على فضل عصاة الاشراف، ومواليهم من الاطراف) وقد تصفحت نسخة منه في دار الكتب، وهي عبارة عن قصائد مطولة، القصيدة الاولى في 200 بيت، عنوانها : (حسن الامل، في فضل الشرف المجرد عن العمل). انك لن تجد في كل هذا الديوان ذكرا للجزائر، ولا التفاتا الى ما تقاسيه من آلام ومآس.

وامتدت يد المستعمر الى هذه الجسوم الهامدة، والتي لا تقوى على حركة إرادية، أشبه شيء بالجسم المريض الممتد على طاولة التشريح. بعد أن أفقده المخدر كل معنى للحياة، امتدت يد المستعمر اليها لتنحت منها هياكل وتماثيل، يخدر الشعب بدوره بها وغدت الحركة الصوفية الطرقية بأساليبها المعهودة، لتنشغل عما وراء الزاوية من شعب طعين أثخنته الجراح، وتناوشت أشلاءه غربان الدخيل.

على أن اليقظة كانت تعاود هذه الجسوم الفينة بعد الاخرى، وكانت تعتريها صحوات تعود بها الى الواقع المر الذي ابتعدت عنه، وتضم جناحيها لتقع بين مآسيه كما قال الشاعر :

في سماء الخيال، ضم جناحيك تقع بيننا فتصبح منا

فالشيخ البصير عبد الرحمان بن محمد الديسي، وهو المشهور بزهده، وطريقته التي تسحب وراءها غير قليل من أبناء الشعب، تزوره في زاويته فتاة فرنسية، فيحدثه طلابه عن بارع جمالها، فيرسم لنا الزيارة في أبيات شعرية لا تخلو من طرافة، فيقول :

أفدي التي سلبت حسن الطواويس	بديعة الحسن من جنس الفرنسيس
عقيلة، من بيوت الملك نشأتها	في غمرة العز، ليست بنت أريس[2]
لا تعرف الهم، بل شبت على ترف	بالقصر والروض في أبهى الملابيس

وفي غمرة الانسياق وراء الجمال، وسكرة الاعجاب به تدرك الشيخ صحوة يثوب فيها الى رشده، والصحوة كانت نتيجة لسؤال نابز من الفتاة

(1) توجد نسخة من هذا الديوان في دار الكتب المصرية.
(2) قرية تبعد عن باتنة. بحوالي 60 كيلومتر.

نفسها، وقد تكون صورة الاخذ والرد بين الاثنين، والسؤال والجواب بينهما من نسج خيال الشاعر، لكن الصورة لا تخلو من تجسيم للحالات النفسية التي كانت تتوارد على هذه النفوس. قال الشيخ على لسان الفتاة :

تاهت علي بعز الملك فاطرحت   قدري بما جمعته من كراديس[1]
قالت : عريب، وهل للعرب منقبة   الا العناء والف البيد والعيس

وهنا تتيقظ النخوة العربية، وينجلي التخدير، وتتحفز العروق الى ما يتجاوب مع أصالتها وأرومتها العزيزة الجانب :

يا هذه. العرب أهل كل مكرمة   أولو الوغى والقرى والحذق والكيس
القاهرون العدا في كل معركة   الناحر والكوم،[2] والبزل القناعيس[3]
سلي التواريخ عن أخبارهم، فلهم   وقائع أثرها في قرب باريس
وامشي بأندلس، أو أرض صقلية   ترى مآثرهم من دون تلبيس

وهكذا تنقلب الغفوة الصوفية يقظة صارخة، ويؤول الاحساس المخدر الى التحدي المتوثب، مما يبرهن على حشاشة عربية عريقة نابضة، مهما عبثت بها النوائب فلن تخمدها تمام الاخماد.

(يتبع)

صالح الخرفي

(1) جمع كردوسة، طائفة عظيمة من الخيل.

(2) جمع أكوم وكوماء وهو البعير الضخم السنام.

(3) جمع قنعاس الجمل الضخم العظيم.

قال الشاعر :

وابن اللبون اذا ما لز في قرن   لم يستطع صولة البزل القناعيس

الشعر والتأليف المسرحي

بقلم : حسن الزمرلي

لقد أجمع المؤرخون والادباء، في حديثهم عن الفن المسرحي، على أنه خرج من المعابد، أو بالاحرى من الحفلات الدينية التي كانت تقام في مواسم معلومة على شرف الآلهة، حسب عقائد الاقدمين، وأنه تطور بعد ذلك طبق منهاج سطره له ذوق الاوساط التي نشأ فيها، متماشيا في ذلك مع عاداتها وعقائدها وأخلاقها.

وفي هذه الحفلات تتلى أو تنشد ملاحم شعرية، طويلة الذيل والنفس يؤلفها الشعراء لذكر أمجاد الآلهة، تتخللها الوان من الموسيقى وأنواع من الرقص والأناشيد.

تلك هي الحفلات الدينية في غالب الاقطار والشعوب القديمة. ولما غير الشعراء مواضيعهم، وأخذوا يؤلفون الملاحم في غير الآلهة وانصرفوا إلى التغني بأبطالهم وعظمائهم، فانهم حافظوا على الصيغة والنمط الذين كانت تعرض بهما الحفلات الدينية داخل المعابد وخارجها.

وهكذا كان الشعر أساس القطعة المسرحية المصرية الفرعونية، والفاجعة اليونانية والرومانية، والنو اليابانية، والمسرحية الصينية والهندية.

ولما انتبهت الكنيسة المسيحية إلى أهمية الفن المسرحي وتأثيره كوسيلة للدعاية، فان جميع المسرحيات التي الفت سيراً وكرامات سواء باللاتينية أو باللهجات الاوروبية كانت شعرية ولم يستعمل النثر الا نادراً في المسرحيات الفكاهية القصيرة المسماة بالحشو (**Farciture**) أو الاخلاقيات (**Moralités**) أو الاحموقات (**Soties**) وكانت المسرحيات الدينية تحتوي على خمسين أو ستين ألف بيت من الشعر الامر الذى جعل عرضها يستغرق أسابيع كاملة.

وفي عهد الانبعاث، لما رجع المؤلفون إلى الادب القديم من يوناني وروماني، فانهم جنحوا دائما إلى الشعر في تآليفهم. وكذلك كان في العهد الاتباعي، والعهد الابتداعي بالبلاد الفرنسية، وهكذا كان في المسرح

الاسباني من عهد السلستين (Celestine) في القرن الخامس عشر، وفي انكلترا في عهد الملكة اليزابات، عهد شكسبير، إمام التأليف المسرحي. ولم يستعمل النثر في جميع هذه البلاد الا في قليل من الاحيان وفي بعض المسرحيات الفكاهية فقط حتى أن النقاد والمؤرخين لا ينعتون المؤلفين المسرحيين، الى عصرنا هذا الا بالشعراء.

و لسبب في ذلك واضح.

فجميع المسرحيات القديمة، أي الفاجعة اليونانية والرومانية، والنو (N o) والكابوكي (Kabuki) اليابانيتان ، والنطاقا الهندية وغيرها، هي في الحقيقة صورة جديدة للملحمة، تختلف عنها بالحوار بدلا من الاسترسال ، وتذكر خاصة صراع الانسان مع مصيره في قطع مستوحاة من الطقوس والاساطير أو من تواريخ البلاد البعيدة وخرافاتها (تطبيقا لقاعدتي الابتعاد في الزمان وفي المكان)

واستمرت الحال على هذه الصورة إلى أن تطور الفن المسرحي وترك الطقوس والاساطير كما كان شأنه في العصور القديمة وعدل عن السير (Mysrères) والمكرامات (Miracles) التي ختص بها في لقرون الوسطى، وعدل عن ارضاء طبقة معينة من الامة مثل المسرح الاتباعي أو المأساة البورجوازية التي ظهرت في القرن الثامن عشر، أو المسرح الابتداعي الذي أعتمد في غالب مآسيه على التاريخ، فأصبح مطالبا بأن يكون صورة مصغرة حقيقية صادقة لعصره ومصره في جميع فروع نشاطهما، وتفكيرهما، وأخلاقهما ونظمهما السياسية والاجتماعية، عندها أصبح استعمال الشعر في المسرحية محل أخذ ورد، لان وصف الانسان كماهو، في حياته اليومية العادية يقتضي بدون جدال من ذلك الشخص أن يتحدث فوق الركح بنفس اللغة التي يستعملها في حياته العادية. وهكذا وجب استعمال النثر بدل الشعر، وهكذا أيضا عدل المؤلفون المسرحيون عن استعمال لغة الشعر الراقية ولجؤوا الى اللغة البسيطة العادية. وهكذا طغى النثر على الشعر في المسرحيات المعاصرة فلا يستعمل المؤلفون المعاصرون الشعر إلا في المسرحيات التاريخية على النمط لقديم (موريس روسطان ــ الفراد بوازا وغيرهما) .

ولما اكتسح فن المسرح بلاد العروبة والاسلام، فانه وجد نفسه مضطراً إلى مجاراة حرفائه الجدد بعدما احتل بلادهم احتلالا في أواسط القرن التاسع عشر. ذلك لان العربي — الغريب عن هذا الفن — ما كان يتصور حفلة بدون شعر، وبدون موسيقى، وبدون طرب. ومارون النقاش فهم هذه الوضعية جيداً. فلم يجازف بنفسه في محاولته ادخال هذا الفن للبلاد العربية، وأولا وطنه لبنان، فقدم سنة 1848 مسرحيته الاولى — البخيل لموليار — في شكل مسرحية غنائية (Opéra) أحرز بها على استحسان كبير وتملك بها على القلوب وغرس هذا الفن في نفوس معاصريه.

وبعد هذا الفوز العظيم أدخل المؤلفون النثر في مسرحياتهم فصارت شعرية ونثرية في آن واحد. فخصصوا النثر بالحرارات العادية واستعملوا الشعر في الحوارات الغرامية أو في مواقف الشجاعة والبطولة وفي المناجاة، ومزجوا مسرحياتهم بالاغاني والاناشيد مثل أبي الحسن المغفل،وانيس الجليس وروميو وجوليات ومجنون ليلى وصلاح الدين الايوبي وغيرها وكان لكل فرقة مسرحية مطربها وهو الذي يعليها أو يسقطها.

وبهذه الطريقة تمكن الفن المسرحي من اثبات قدمه ببلاد الشرق العربي. وهذا المزج بين الشعر والنثر، وهذا التخليط بين التمثيل الصرف والموسيقى والمغنى — وان هو يعاكس نظرتنا الخاصة في الفن المسرحي فهو الطريقة التي لم يزل معمولا بها في كثير من الفرق المصرية وغيرها ببلاد الشرق. وانك تكاد لا تشاهد شريطا سنمائيا مصريا واحدا خاليا من الغناء والموسيقى علاوة على موسيقى تكوين الجو الضرورية.

فلولا النزعات المتضاربة التي ادخلت على المسرح العربي بواسطة الترجمة والاقتباس، فجعلته مذبذبا لم يزل يبحث عن طريقه بعد مضي أكثر من قرن ولوكان هذا المسرح قائما على واقعنا كما هو في غيرنا من بلاد الشرق والغرب لكان أقرب ما يكون من الفاجعة اليونانية الاسخيلية بجوقة منشديه وموسيقاه، وهو النوع الذي كتبت عليه التعزية الفارسية ببلاد الشيعة في أواخر القرن الثالث والقرن الرابع للهجرة بالبلاد التي طغى فيها المسرح الشيعي.

وهذه المسرحيات المؤلفة أو المنقولة شعراً ونثراً جميلة جداً. والجمهور العربي يحبها ويتذوق إليها وعلى منوالها ألف أحمد خير الدين «الكاهنة» والمرحوم عبد الرزاق كارباكه " ولادة وابن زيدون" وجلال الدين النقاش "عصر المأمون"

لكن المسرحية العربية خضعت هي الاخرى لنفس المقتضيات التي خضعت اليها المسرحية بالبلاد الاوربية لما أرادت تصوير الحياة اليومية. وهكذا وجدت المسرحية النثرية الصرفة سواء بالفصحى أو بالعربية.

وقد تكون المسرحية النثرية الصرفة هي التي أوحت بانشاء المسرحية الشعرية العربية الصرفة

فالمسرحيات الغرامية الشعرية التي كتبها أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقي مثل عنتر وعبلة، ومجنون ليلى، ومسرحياته التاريخية مثل علي بك الكبير، والسلطان عبد الحميد وغيرهما هي من درر الادب العربي على الرغم مما فيها من عيوب فنية من حيث التاليف المسرحي والعقد والمفاجآت والحركة.

فمن هذه الناحية نجد تقدما بالنسبة اليها في مسرحيات عزيز أباظة مثل الناصر وشجرة الدر، وغروب الاندلس، ومسرحيات علي أحمد باكثير الشعرية وخصوصا في مسرحية "غرام يزيد" لمحمود غنيم.

فهؤلاء المؤلفون الافذاذ اتبعوا المؤلفين الاروبيين فجعلوا مسرحياتهم الشعرية تاريخية غرامية وهو النوع الذي ينا سبها بدون نزاع.

حسن الزمرلي

خواطر حول

ترجمة الشعر

بقلم : **محسن بنحميدة**

قصدي من هذا الحديث ان لا اتنازل عن الصعيد الموضوعي الذي لا تتسنى بعدمه اية ترجمة امينة فان وجد فيه القارىء بعض الجفوة او الامتعاض او القساوة في الحكم فليعتبر ذلك من باب النزاهة والامانة والصدق مع علمه اني منذ ستة عشر عاما لا اتوخى في الترجمة او النقل غير هذه الطريق واني اقسو على نفسي اكثر مما اقسو على غيري

فن الترجمة او النقل اعسر فنون الادب لانه يتطلب من الاديب الناقل صعف ما يتطلبه من الاديب الكاتب فلا يتسنى للمترجم او الناقل القيام بعمله الشاق المضني في تحقيقه وتدقيقه وتمحيصه الا اذا عرف معرفة جيدة واتقن اتقانا كاملا لغتين على اقل تقدير اللغة التي ينقل منها واللغة التي ينقل اليها فكيف تريد الجاهل للغة الفرنسية مثلا ان ينقل منها الى اللغة العربية وهو لا يفهم روحها ولا يعرف اسلوبها ولا يتبين خفايا تعبيرها ولا اسرار تراكيبها وان كان من فقهاء اللغة العربية والا كان ما يسميه بالنقل محض تصرف شأن نقل مصطفى لطفي المنفلوطي لبعض آثار الادب الفرنسي

والذين ينقلون في الشرق من اللغة الفرنسية او من اللغة الانجليزية يبدو مما نقلوه اما انهم يجهلون اللغة المنقول منها واما ان ضيق الوقت والضرورة التجارية يضطرانهم الى تشويه الآثار ومسخها وافراغها مما لها من قيمة وسلبها مما تمتاز به من روح خاصة بها

ومن العار عليهم وعلى العروبة الجمعاء ان يظهر هؤلاء النقلة اذا قورنوا بالناقلين القدامى زمن المأمون مثلا بمظهر الاقزام او القردة

ولو اردنا تتبع النقل في الشرق العربي في شتى ميادين الفكر الانساني والتراث البشري لبعد بنا المطاف وطال القول ولما وسعه مثل هذا الحديث بل قصدنا الاكيد وغايتنا المتواضعة حصر قولنا في ميدان ضيق من ميادين الشعر

والحق ان فكرة تحرير هذه الملاحظات كان السبب فيها تصفح اعداد مجلة « شعر » Shir البيروتية التي تدعى احتكار الشعر العربي المعاصر بانكارها على جهابذة الشعر العربي من غير محرريها صفة الشاعرية وتناسى

قيمة غيرهم لجهلها او تجاهلها آثارهم وحتى وجودهم الذى قد يكون ملأ فراغا لم ينتبهوا قط الى سده

ولنعتمد فى هـذه الملاحظات المتواضعـة التى نريدها ان تكون اقرب ما تكون الى الموضوعية وابعد ما تكون عن العصبية وهوى النفس لنعتمد ما جاء من نقل فى عدد مجلة « شعر » الخاص بالجزائر (عدد 17 شتاء 1961)

لذلك لا يمكننا غير انتخاب بعض الاخطاء الفادحة الماسخة للاصل المشوهة لروحه والقاتلة لايحائه الانسانى الخالد تاركين للقراء الحرية الكاملة فى تقدير قيمة الترجمة ومستواها

لقد اشتمل العدد على تراجم قصائد لاربعة من الشعراء اثنان منهم فرنسيان من الاحرار التقدمين هما Pierre Emmanuel و Alain Jouffroy واثنان جزائريان احدهما مسلم Nordine Tidafi والآخر من اصل فرنسى هو Henri Kréa

واليك مثال من نقل قصيدة « العادلون الجلادون (Les Justes les bourreaux) لبيار ايمانويل :

Malheur à qui se croit sauvé en succombant
A la tentation d'être blanc comme neige

الويـل لـمن يظن انـه نجـا بالوقـوع
فى تجـربـة ان يكـون ابيض كالثلج

(ص 57 — 56)

هذه ترجمة حرفية تذكرنا ما كنا نتلاهى به حين كنا طلاب علـم ومعرفة بالمدرسة الصادقية منذ اكثر من ربع قرن فكان لنا مناسبة هـزل وفرصة تسلية لابد منها لمواصلة الدراسة الشاقة المضنية التى اضطرنا اليها الوضع يومذاك والتى نباركها اليوم مهما كبدتنا اذ ذاك من مشاق وعناء واضناء ٠

ثم انى لاراهن ايا كان على ان يدعى ان القـارىء العـربى الجاهـل للغة الفرنسية يفهم حرفا واحدا من خلال هذه الترجمة ولو ان الاصل الفرنسى به بعض الغموض او قل الرمز الا ان الناقل عوض ان يقربه من القارىء العربى ويجعله فى متناول فهمه قد زاده غموضا وابهاما بما كسا تعبيره العربى (؟) من عجمة

وليس بالخفى ان اكبر آفات الترجمة الاسلوب الحرفى الذى يؤدى حتما الى العجمة وعدم فهم الاصل المنقول منه ولذلك نورد مثـالين آخرين مـن نفس قصيد بيـار ايمانويـل

اولهما :

Il n'est pire abomination que la pensée des Purs

ليس اقبح من فكر
الانقياء

(ص 15 – 14)

وثانيهما :

Accoutres comme des acteurs de bergerie

بزى من يمثلون دور الرعاة

(ص 15 – 14)

وهذه امثلة من قصيد «مؤامرة المتساوين» (La Conjuration des égaux) لهنرى كريبا وقد اهداه الشاعر الى صديقه جمال الجزائرى

Et je veux parvenir
Vampire inépuisable
A cette aube qui nous calcine

واريد ان اصل
عفريتا يمتص الدماء لا يرتوى
الى هذا الفجر الذى يجعلنا كلسا

(ص 33 – 32)

وليس من الغلو او المبالغة ان اقول انى اجد مثل هذا التعريب فى محاولات تلاميذى المبتدئين فى هذا الفن فليس هذا التعريب حرفيا فقط بل هو ماسخ للمعنى الاصلى مشوه لروح اللغة الفرنسية ومناف للتركيب العربى الصحيح هذا ولا فائدة مثلا فى ذكر :

De la misère totalitaire

بالبؤس الجماعى

(ص 33 – 32)

او ذكر :

Démuni de toute sorte de contingence

مجردا من كل نوع من واجب الوجوب

وليلاحظ القارىء ان المعنى الاساسى الذى تعبر عنه لفظة Contingence هو الامكان لا الوجوب

واليك من القصيد نفسه مثالين آخرين مضحكين حقا

الاول :

Raison tu as bon dos

ايهـا العقـل ظـهـــرك محمـى

(ص 39 – 38)

والثانى :

Les banderilles bien ajustées sur le sein de Notre Dame d'Afrique qui a bien des choses sur la conscience

الحراب مصوبـة جيدا الى ثدى سيدة افريقيا

التى على ضميرها عدة اشياء

ولو تصفحنا ترجمة « اربع قصائد » لنور الدين تيـدافى (يقين – اللحية الحمراء – عمر جغرى – سليم) وترجمة « اعلان الاستقلال » **(La déclaration d'Indépendance)** لألان جوفـروا لوجدنـا فيهـا مـا نقوم لـه ونقعـد من الانفعال العادل والحياء القاتل بل وحتى الغضب والحقد الناقم

فاليك مثلا :

Peuple clair aux menaces

شعب مضىء امـام التهـديـدات

(ص 77 – 76)

واليك :

Paris qui pratiquez le racisme tous les jours de la Chapelle à la goutte d'Or contre les Nordafs

باريس التى تمـارس العنصريـة كل النهارات من

الكنيسـة الى النقطـة الـذهبيـة ضـد النـورداف

والله ، انه ليخيل اليك انك فى ملعب « سيرك **(Cirque)** تشاهد الاقزام منصتا لما يجرى بينهم من احاديث مثيرة للضحك عند ما تقـرأ « النهارات » و « النقطة الذهبيـة » وخـاصة « النورداف » او « يـا جلدى العجوز » فى الترجمة الآتية

Mais de tout cela, Vieille peau,
J'ai assez

لكن من كل هذا يا جلدى العجوز

عنـدى كفـايـة

وبهذين المثالين الاخيرين قد بلغ السيل الزبى وانتهى الامر الى ما لا يطاق فلا بد من الانفجار

فيا ايها الناقل « المحترم » الذى لا يحترم الاصل ولا يحترم القراء ولا يحترم حتى نفسه بحيث يعرضها للناس فى بلاهتها وجهلها المركب ولا يتصور ان من القراء فى غير بلاده المحترمة من يحسن شيئا من فهم اللغة الفرنسية والغوص فى اعماقها والتمكن من خفايا اسرارها

قلت ايها الناقل « المحترم » لا فائدة فى الفضول بنقل الآثار الفرنسية المتعلقة منها بالمغرب العربى على الاقل اذا كنت تجهل لفظة Nordafs التى هى ترخيم لفظة Nord-Africains او عند ما يشير بذلك التعبير الى جلده وثباته صديقه قائلا له Vieille peau او عند ما يشير بذلك التعبير الى جلده وثباته امام عديد التجارب القاسية

ولاتركك ايها الناقل « المحترم » انت و « جلدك العجوز » ولقد هممت ان اقول « انت وجلدك العجوز » فعندك فيه الف كفاية

ولا عجب فى ان لا يجد القارىء اسماء الناقلين لقصائد بيار ايمانويل ونور الدين تيدافى وألان جوفروا فذلك دليل على اعترافهم بعجزهم او بعدم رضاهم عما قدموا من ترجمة مستعجلة

اما العجب العجاب فهو ان ناقل قصيدة هنرى كريبا الخالدة « الشاعر المحترم » شوقى ابا شقرا لم يستنح كزملائه من ذكر اسمه بل اثبته فى انانية واكتفاء باللغتين العربية والفرنسية ليكتب لترجمته الماسخة المشوهة البارعة فى المسخ والتشويه ليكتب لها وله الخلود

وخلاصة القول انى ان كنت ارثى لاحد فى هذه المهزلة فلجمهور القراء فى الشرق الذين يتعرفون لآثار الغرب الخالدة من خلال مثل هذه الترجمات

محسن بنحميدة

مع ابن حمديس الصقلي

بقلم : امبرتو ريزيتانو

انه لمن المعروف عند المهتمين بدراسة الثقافة العربية الاسلامية في الغرب – والمقصود بالغرب افريقية، وبلاد الاندلس وصقلية – ان الشعر العربي الذي ازدهر في صقلية في غضون الفتح الاسلامي لها(827 – 1061)م. وكذلك في الفترة التي تلته بعد أن استولى النورمانديون على الجزيرة، لم يصل الينا منه الا النزر اليسير، ولم نتلق من مختلف دواوين الشعراء الاديوان ابن حمديس الذي نشره المستشرق الايطالي (C. Chiaparelli) سنة 1897 بروما وأعاد نشره وصححه وقدم له أخيرا الدكتور إحسان عباس ببيروت.

ويرجع فضل ما لدينا اليوم من شعر عربي – صقلي الى ابن القطاع الصقلي (أبو القاسم علي ابن جعفر ابن علي التميمي السعدي) الذي كان قد جمع في « الدرة الخطيرة من شعراء الجزيرة » عشرين ألف بيت منسوبة الى مائة وسبعين شاعرا، ولدوا بصقلية أو أقاموا فيها ردحا من الزمن، وللاسف الشديد لم يصل الى أيدينا من الدرة الخطيرة، الا بعض المختارات المقتضبة التي جمع اشتاتها بعض اهل العلم والتصنيف الذين خلفوا ابن القطاع المذكور منهم :

ابن منجب الصيرفي في اختياره للدرة الخطيرة. والعماد الاصفهاني في الخريدة، وابن سعيد في المغرب. وصاحب مختصر الدرة الخطيرة (الذي لم نهتد الى اسمه والذي اختصر – على ما يظهر – اختيار الشيخ ابي اسحاق ابن أغلب للدرة)، وسبط بن الجوزي في «مرآة الزمان»

أما خصائص هذا الشعر العربي الذي ازدهر بصقلية ابان العصرين الاسلامي والنورماندي الاول (أي في عصر روجار الثاني الذي فتح أبواب قصره على مصراعيها (للادباء والشعراء) ففي امكاننا أن نقسمه الى قسمين كبيرين يضم القسم الاول الشعراء الذين لا تتسم أبياتهم – سواء أكانت مدحا أم غزلا أم وصفا أم رثاء – بالطابع الصقلي – ولولا نسبة هؤلاء الشعراءأو اشارة المصادر الى انهم من الصقليين، لما خطر ببالنا أنهم من أبناء الجزيرة أو المقيمين بها، ، وذلك لعدم وجود أي اشارة، في أشعارهم، لتلك البقعة التي فتحها أجدادهم واستولوا عليها زهاء قرنين ونصف من الزمان.

ومن شعراء صقلية الذين ينتمون الى هذه الطبقة أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الصقلي المعروف بالبلنوبي نسبة الى (Villanova وهي بلدة في غرب صقلية) الذي هاجر الى مصر وأقام فيها في الفترة التي كان اليازوري – وزير المستنصر – يقبض على زمام الحكم فيها، أي من سنة 442 إلى 450 هـ. – والتي دبر الفاطميون في أثنائها مؤامرتهم الكبرى ضد القائم بأمر الله في العراق ، وكان من نتائجها ذيوع اسم المستنصر في بغداد – ولكي أدلل على ما ذكرته من عدم وجود أي ذكر لصقلية في شعره – فاني احيل الدارسين الى أبياته التي سبق أن نشرتها في حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة، ليجدوها خالية من أي تنويه بالجزيرة بل العكس فان قارىء ابياته يشعر أنه يعيش في جو مصري – فقد سرد البلنوبي فيها حوادث تاريخية وقعت في عصر المستنصر، وعلى وجه الدقة روى نتائج المؤامرة المذكورة التي قام بتنفيذها البساسيري ببغداد.

ومن الشعراء الذين حذوا حذو البلنوبي ولم يرد في أشعارهم أي ذكر لصقلية بعض الامراء الكلبيين الذين قرضوا الشعر أثناء حكمهم للجزيرة، كالامير أبي القاسم عبد الله بن سليمان يخلف الكلبي وجاء عنه في « الدرة الخطيرة » لابن القطاع أنه « كان أحد الأدباء المجيدين والشعراء المعدودين وممن جمعوا الى شرف المنصب غرائب العلم والادب – وتصرف في أنواع الشعر وأجاد في التشبيهات ووصف الخمر وأضاف الى ذلك جودة النثر وله تأليفات وكتب ومصنفات في الرد على العلماء وتطبيق للشعراء » ونستدل من كلام ابن القطاع على أنه كان أديبا فذا، لم يصلنا عنه للاسف الشديد الا بعض أبيات حيث أنه بدلا من أن يشيد بذكر صقلية وسرد حوادثها التاريخية والاشادة بامجادها، فقد تحددت مادة شعره واقتصرت على الغزل والخمر والتشبيهات واللهو. واليكم بعض أبيات الامير الكلبي المذكور :

نعيمي أحلى بتلك الديار   رواحي إلى لذة وابتكاري
فليت ليالي الصدود الطوال   فداء ليالي الوصال القصار

* * *

زمان أبيت طليق الرقاد   وأغدو خليا خليع العذار

لم يكن الهجر مما أخاف ... ولا العاذل الفظ ممن اداري
اسابق صحبي بصبح الدنان ... واصرف ليلي بصرف العقار
الا رب يوم لنا بالبروج ... بخيل الضياء جواد القطار
كأن الشقيق بها وجنة ... بآخرها لمعة من عذار
كان البنفسج في لونه اختلاط الظلام بضوء النهار
وسوسنها مثل بيض القباب ... بأوساطها عمد من نضار
ترى النرجس الغض فوق الغصون ... مثل المصابيح فوق المنار
وأترجها كحقاق النضار ... تصفق أو كثدي الجواري
اقمنا نسابق صرف الزمان ... بدار الى عيشنا المستعار
نجيب بصوت القناني القيان ... اذا ما أجابت غناء القماري
وتصبح عيداننا في اصطخاب ... تلذ، وأطيارنا في اشتجار
نشم الخدود شميم الرياض ... ونجني النهود اجتناء الثمار
ونسقي على النور مثل النجوم ... ومثل البدور اعتلت للمدار
عقار هي النار في نورها ... فلولا المزاج رمت بالشرار
نعمنا بها وكأن النجوم ... دراهم من فضة في نثار
اذا ما لقيت الليالي بها ... فأنت على صرفها بالخيار

والشاعر يترك القارىء والمؤرخ في حيرة وشغف الى معرفة المكان الذى قرض فيه هذا الشعر ومتى تناوله، كما أنه لم يخبرنا بشيء عن البروج التي يتكلم عنها، حتى يجعلنا نشك أن ذلك الشعر قد قيل في أي بقعة من العالم العربي سواء في العراق أو الشام أو مصر أو المغرب ، إذ ليس له طابع يحدد سماته، وذلك لاشتماله على كثير من المعاني التي تناولها شعراء العرب عامة. ويمكن تطبيق هذه الملاحظة على أغلبية معاصري الامير أبي القاسم الكلبي مثل : أبي محمد ميمون بن الحسن الكلبي، والامير أبي عبد الله محمد والوزير أبي الفضل عبد العزيز بن أحمد بن دانع الى غيرهم من الذين ورد ذكرهم وسجلت أبياتهم في المختصر المذكور للدرة الخطيرة.

أما الطبقة الثانية من الشعراء الصقليين فتختلف عن الاولى اذ تظهر في أبياتهم سمات الطابع الصقلي جلية واضحة وهم يتناولون فيها وصف بعض

حوادث وقعت في صقلية في الفترة الاخيرة من العصر الاسلامي . وأول من ينتمي الى هذه الطبقة أبو الحسن علي بن محمد بن الخياط الربعي الذي كان من جلة أصحاب التجيبي البرقي، صاحب « شرح المختار من شعر بشار، اختيار الخالديين » وقد أورد التجيبي الكثير من غرر شعر ابن الخياط الذي تحدث فيه الشاعر عن امراء من بني كلب كان قد اتصل بهم أثناء اقامتهم بصقلية، وذلك مما يجعلنا نتعرف على بعض التفاصيل عن ولاة من بني كلب ضرب المؤرخون الصفح عنهم في مؤلفاتهم — من أجل هذا نعتبر مقطعات ابن الخياط من أهم المصادر التي توافينا باخبار متعلقة بالولاة الذين قبضوا على زمام الحكم في صقلية في الفترة التي كان يحكم فيها ممثلو أسرة بني كلب، اى تلك السلالة التي ازدهرت أثناء حكمها للجزيرة الفنون والآداب كما ازدهرت الحالة الادارية والسياسية والاقتصادية فيها.

هذا وقد حان الوقت لدراسة وتحليل بعض قصائد علم من أعلام العربية وشاعر من أجل شعرائها وصقلي من اكثر الصقليين تمسكا وتعلقا بمسقط راسه سرقوسة على الشاطىء الشرقي للجزيرة — أعني ابن حمديس الذي عاش نحو ربع قرن في صقلية وغادرها قبيل الفتح النورماندى لها واتجه سنة 471 شطر الاندلس ثم حط رحاله في اشبيلية في عصر ملكها المعتمد بن عباد ولم يهجرها الا عند اعتقال ابن الامير الذي اشتهر بشدة الولوع بالادب والشعر. ولما قضى على آمال ابن حمديس في الاندلس بوفاة المعتمد سافر الشاعر الى افريقية حيث اتصل بالامير تميم بن المعز وابنه يحيى وحفيده علي ثم قصد بعد ذلك الى جزيرة ميورقة حيث توفي سنة 527، وقيل أن وفاته كانت في بجاية.

سبق أن قلت أن الشاعر عاش بصقلية أربعة وعشرين عاما، ولكن لا نبالغ اذا أضفنا أنه عاش طول حياته في ظلها لكثرة ما نجد في أبياته من الحنين اليها ومن العطف على سكانها ومن تشجيع مواطنيه الذين كانوا يكافحون (بقصريانة وجرجنت) ضد النورمانديين تحت قيادة ابن عباد الصقلي وبني حمود.

فاستمعوا اليه وهو يتحدث عن صقلية ويذكر أيام الشباب التي قضاها بها في اللذة واللهو :

ذكرت صقليـة والاسـى يهيج للنفس تذكارهـا
ومنزلة للتصابي خلـت وكان بنو الظرف عمارها
فان كنت أخرجت من جنة فاني أحدث أخبارهـا
ولولا ملوحة ماء البكـا حسبت دموعي أنهارهـا

ضحكت ابن عشرين من صبوة — بكيت ابن ستين أوزارها
فلا تعظمن لديك الذنوب — فما زال ربك غفارها

مما لا شك فيه ان البيئات الجديدة – اندلسية كانت او افريقية – والاقطار التي اختلف اليها الشاعر لم تكن تتجاوب مع قلبه، ولم تكن تنسيه «الوطن» كما اعتاد ابن حمديس ان يسمي صقلية في بعض أبياته : كانت الغربة والشعور بها أقوى من أي مؤثر آخر كما هو ظاهر جلي في الابيات الآتية :

الا في ضمان الله دار بنوطس — ودرت عليها معصرات الهواضب
أمثلها في خاطري كل ساعة — وأمري لها قطر الدموع السواكب
احن حنين النيب للموطن الذي — مغاني غوانيه اليه جواذبي
ومن سار عن أرض ثوى قلبه بها — تمنى له بالجسم اوبة آئب

وهناك قصائد – في امكاننا أن نسميها قصائد «عهد الرجاء» نجد الشاعر يفتخر فيها بمواطنيه ويشجعهم على مقاومة الروم والدفاع عن بلاد صقلية التي استولى النورمانديون على بعضها.

حماة اذا ابصرتهم في كريهة — رضيت من الآساد عن كل غاضب
اذا ضاربوا في مأزق الضرب جردوا — صواعق من ايديهم في سحائب
لهم يوم طعن السمر ايد مبيحة — كلى الاسد في كراتهم للثعالب
تخب بهم قب يطيل صهيلها — بارض اعاديهم نياح النوادب

....

اذا سكتوا في غمرة الموت انطقوا — على البيض بيض المرهفات القواضب
ترى شعل النيران في خلج الظبا — تذيق المنايا من اكف المواهب

ويلاحظ هنا ان الشاعر قد برع في الوصف حتى كان جديرا بأن يحمل لواء الزعامة بين شعراء هذا الفن – ولقد أتبع ابن حمديس هذا الوصف بالافتخار بمواطنيه الذين ظلوا في صقلية – وبتحريضهم على الجهاد :

أولئك قوم لا تخاف انحرافهم — عن الموت ان حامت أسود الكتائب
اذا ضل قوم من سبيل الهدى اهتدوا — وأي ضلال للنجوم الثواقب
وكم منهم من صادق البأس مفكر — اذاكر في الاقدام لا في العواقب

....

اذا ما غزوا في الروم كان دخولهم — بطون الخلايا في متون السلاهب
يموتون موت العز في حومة الوغى — اذا مات أهل الجبن بين الكواعب

حشوا من عجاجات الجهاد وسائدا ... تعد لهم في الدفن تحت المناكب
فغاروا أفول الشهب في حفر البلا ... وابقوا على الدنيا سواد الغياهب

وفي قصيدة أخرى يدعو الشاعر مسلمي صقلية الى أن ينفضوا النوم عنهم وأن يوجهوا خيولهم نحو المعركة ضد الروم لسلامة الوطن وانتصار أبنائه :

بني الثغر لستم في الوغى من بني أمي ... اذا لم اصل بالعرب منكم على العجم
دعوا النوم اني خائف أن تدوسكم ... دواه وأنتم في الاماني مع الحلم
وكأس بأم الموت يسعى مديرها ... الى أهل كأس حثها بابنة الكرم
فردوا وجوه الخيل نحو كريهة ... مصرحة في الروم بالثكل واليتم
وصولوا ببيض في العجاج كأنها ... بروق بضرب الهام محمرة السجم

وبعد التشجيع على المقاومة، أمل الشاعر في انهزام العدو حتى لا يذوق « بني الثغر » من الصقليين تلك الغربة التي سبق ان ذاقها هو :

ولله أرض ان عدمتم هواءها ... فاهواؤكم في الارض منثورة النظم
وعزكم يفضي الى الذل والنوى ... من البين ترمي الشمل منكم بما ترمي
فان بلاد الناس ليست بلادكم ! ... ولا جارها والخلم كالجار والخلم
اعن ارضكم يغنيكم أرض غيركم ... وكم خالة جداء لم تغن عن أم
أخلي ! الذى ودى بودي وصلته ... لدى كما نيط الولي الى الوسم
تقيد من القطر العزيز بموطن ... ومت عند ربع من ربوعك أورسم
وإياك يوما أن تجرب غربة ... فلن يستخير العقل تجربة السم

ولكن سرعان ما تغلب اليأس على الشاعر بعد استيلاء النورمانديين على جزيرة صقلية اى على تلك الجنة المفقودة التي بكاها ابن حمديس بكاء مرا كأنه قد ضاقت به الارض على سعتها بعدها وكان ما لاقاه، في الاندلس من عطف ابن عباد وفي افريقية من احتفاء الامراء به لا يعد عندها شيئا مذكورا

لقدرت أرضي أن تعود لقومها ... فساءت ظنوني ثم أصبحت يائسا
وعزيت فيها النفس لما رأيتها ... تكابد داء قاتل السم ناحسا
وكيف ! وقد سيمت هوانا وصيرت ... مساجدها أيدي النصارى كنائسا
اذا شاءت الرهبان بالضرب انطقت ... مع الصبح والامساء فيها النواقسا
لئن كان أعيى كل طب علاجها ... فكم جرب في السيف اعيى المداوسا
صقلية كاد الزمان بلادها ... وكانت على أهل الزمان محارسا
فكم أعين بالخوف أمست سواهرا ... وكانت بطيب الامر منهم نواعسا

من المفروض أن الشاعر لم يكن يعرف شيئا يقينا عن الحالة الحربية والسياسية والاجتماعية في صقلية، ولا بد لنا أن نعتبر كل ما ورد في هذه الابيات وفي الابيات التي تليها نتيجة لآلامه ومصائبه بعد سقوط الوطن وانهزام المواطنين.

أرى بلدي قد سامه الروم ذلة — وكان بقومي عزة متقاعسا
وكانت بلاد الكفر تلبس خوفه — فأضحى لذاك الخوف منهن لابسا
عدمت أسودا منهم عربية — ترى بين أيديها العلوج فرائسا
فلم ترعني مثلهم في كتيبة — مضارب أبطال الحروب مداعسا
أما ملئت غزوا «قلورية» بهم — واردوا بطاريقا بها وأشاوسا
هم فتحوا أغلاقها بسيوفهم — وهم تركوا الانوار فيها حنادسا
وساقوا بأيدي السبي بيضا حواسرا — تخال عليهن الشعور برانسا

هذه كانت الحالة كما تخيلها الشاعر ايام الجهاد، أما بعد سقوط صقلية وانهزام كتائب المسلمين، فقد تصور ابن حمديس ان الاعداء، أي ،جيوش النورماندين :

مشوا في بلاد أهلها تحت أرضها — وما مارسوا منهم ابيا ممارسا
ولو شققت تلك القبور لا نهضت — اليهم من الأجداث أسدا عوابسا
ولكن رأيت الغيل ان غاب ليثه — تبختر في أرجائه الذئب مائسا

ان شعر الحنين قديم قدم الشعر العربي نفسه، وكل واحد لم ينس ولن ينسى ما قراه وما حفظه في هذا الموضوع سواء أكان في عصر امرىء القيس (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) أم في عصر المتنبي (احن الى اهلي وأهوى لقائهم...) أم في العصر الحديث... ولكن حنين ابن حمديس من أصدق ما قيل في هذا الباب وأبلغه على مر العصور فهو صادر عن نفس معذبة ذاقت الغربة وقلب محطم قاسى الشقاء والهوان والالم والاسى على تلك الديار الصقلية التي كانت عامرة بمواطنيه وأصحابه وأفراد عائلته فأصبحت بعد الفتح النورماندى كما رسمها الشاعر في شعره في حالة الذل والانحطاط وعبر الشاعر عن هذا الشعور في البيت الذي سبق أن ذكرناه :

أرى بلدي قد سامه الروم ذلة — وكان بقومي عزه متقاعسا

يتبين لنا مما سبق ان الحوادث التي كانت تدور في افريقية لم تكن ذات أثر مهم في نفسه، وبالاحرى لم يكن لها أثر واضح في شعره، وان وجد فانما

هو أثر باهت يستطيع الانسان العثور عليه في هذا المديح أو في ذاك الرثاء، ولكن القدر أبى الا أن يشاهد الشاعر ايام آخر ملوك صنهاجة "الحسن بن علي" انهزام اسطول الملك روجار النورماندي الذي طمح الى الاستيلاء على الساحل التونسي سنة (517 هـ 1122 م) ونزل النورمانديون في مكان الديماس – حدود قرية البقالطة في أيامنا هذه – وتصادم بالجند الصنهاجي وبعد مقاتلة عنيفة تفللت صفوف جيوش النصارى. هذا كان ما ينتظره ابن حمديس الذي كان وقتئذ قد بلغ من السن نحو السبعين، وبالرغم من شيخوخته وجد القوة الكافية والانفعال المناسب لسرد الحوادث المذكورة في قصيدة عصماء مدح بها آخر ملوك صنهاجة :

أبى الله الا ان يكون لك النصر ... وان يهدم الايمان ما شاده الكفر
وان يرجع الاعلاج بعد علاجها ... خزايا على آثارها الذل والقهر
ليهنك فتح اولغ السيف فيهم ... ولاح بوجه الدين من ذكره بشر
بسعد كساك الله منه مهابة ... واشراق نور منه تقتبس الزهر

واستطرد الشاعر من ذلك الوصف الى تصوير بارع للمعركة :

بنو الاصفر اصفرت حذارا وجوههم ... فأيديهم من كل ما طلبوا صفر
تنادوا كأسراب القطا في بلادهم ... وكان لهم من كل قاصية نفر
ولما تناهى جمعهم ركبوا به ... قراه، زاخر الاذى آفاقه غبر
تولت جنود الله بالريح حربهم ... وليس لمخلوق على حربها صبر
فكم من فريق منهم إذ تفرقوا ... له غرق في زخرة الموج أو أسر

وأشار ابن حمديس في ذلك الى جهاد جنود الله وقال :

أعارب جدوا في جهاد أعاجم ... خنازير شبت حربها أسد هصر
اذا قيل يا أهل الحفائظ أقبلت ... ملبية فيها غطارفة غر
كتائب من كل القبائل أقبلت ... لفرض جهاد ما لتاركه عذر
اعز بهم ذو العرش دين محمد ... وضم عليه من كفالته حجر

اختم بهذه الابيات الكلام عن ابن حمديس الصقلي، عن شيخ سرقوسة الذي لم يزل إلى أيامنا هذه مجهول الفضل مغموط الحق وتنتظر قصائده أن يهتم بها المتخصصون حتى تتكشف للناس عن كنوزها المدفونة وجواهرها المكنونة –

امبرتو ريزيتانو
أستاذ : بجامعة بلرم بصقلية

باقة من الشعر

عندما تمطر السماء

بقلم محسن بنحميدة

أمطرت السماء
مـاء
فثلجا فذهب
يا حبيبتي أمطرت السمـاء
فأغرقت عينيك بـالدموع
وأثلجت فؤادك الوديع
ومـا يزال في حنين
إلى جمالك الحزين
لكنني احن قبل كل شيء
إلى عوالم بديعة عجيبه
عوالم لا تعلمين منهـا شيء
ولاتصورين
عوالم بعيدة غريبه
لا تدركين يـاحبيبتي الاريبه
لا تدركين كنههـا البعيد
أسير إليهـا
ولا من حقيبه
وأحيـا عليهـا
ولا من شجون
ولا من حنين
عوالم يسكن فيها السكون
وتشمس فيهـا شموس النهار
يقر القرار
وأنت أيا بؤرة الانهيـار
ويـا ربة التيه نتنـا وطين
ستذوبين حتمـا فتحدوك نـار
ولا من نشور ولامن قرار
وأبقى أنـا وسط ضوء النهـار
أسير فأخلق خلقـا جديدا
وأحيـا عمرا عريضـا مديدا
وتمطر السمـاء من جديد
فيغرف عوالم ذهب
الدفء والضيـاء
ولذة الوفـاء
وحسن المنقلب

محسن بنحميدة

محبة عشق

بقلم : محسن بنحميدة

عجزت اليوم في لساني
عن احاديث الغرام
فالريح التي
بها اليوم انتشي
رائحة من العذاب
من التعذب والامل
رائحة انبعاث

واليوم لساني
لسان عذاب
لسان صراع ولهجة ثورة
لسان استحالة

* * *

إن تحدثت عن الحب
في لغة الحبيبة
فلا احسن التعبير
عما همست به من كلام
وكان النسيان نصيبي
وكان العذاب حظي
كنت اعيش في قلبي
حظ امثالي
حظ المغلوب على امرهم والمحرومين امثالي
حظ كل اخواني
من كل لون كل جنس كل قطر
كل من يالفهم جوع ضياع وامل
ومن غدا سيصنعون قوة الارض

فخر والبشر .

❀ ❀ ❀

كليماتك لا احسن الفوه بها
بما لها من عذوبة من حنان
بما تعلمت الحب من لساني
ومنذ ان على القول قدرت
واجاد الخفقان قلبي انفعالا
حملت نفسي
عذاب شعبي الشهيد

❀ ❀ ❀

لو كنت فارسا او كنت راويه
فما اجمل ملحمه
كنت حتما نظمتها
وفي الاصقاع وكل الشعاب
غنيتها
لكنني لست سوى انسان
احب اخي الانسان
ـ من كل لون كل جنس كل قطر
احب كل الناس
من غدا سيصنعون قوة الارض
وفخر البشر ـ
محبة عشق ـ

نظمها بالفرنسية ونقلها عنها

محسن بنحميدة

بدء غربة مطر

شبح رقبته مرتفعه
ومطر.... وزوبعه
وعمري في الستة عشر
مدينتي تخاف الغرباء
وتعشق عوائد الفناء
وأمشي أنا أجر الضنى
ولم أقرا بعد رسالتك
وهذي رسالتي بين يدي سأنشدها
أنا قارة أنا تحلم ولهى
لقد أتوا منزلي .... منزلي بقسنطينة
لقد أتوا. والليل والسكينة
فهم يأتون دائما بالليل ليفسدوا الأحلام
أميمتي تهاب
ومنزلي يطبق الأهداب
وأنا ملازم السفر مراحلي غريبه
من بسمة الجنينه إلى تأمل الخزينه
أعمر المنزل مرة كل شهرين
في كل شهرين تقريبا
وينزل المطر
مدينتي تخاف الغرباء
وتعشق عوائد الفناء

مالك حداد

ترجمة محسن بنحميدة

من وحي ذكرى الهجرة !

بقلم : **الشاذلي عطاء الله**

الكون يغمره السكون كأنه محراب معبد
والليل مسود الذوائب لا يضيء دجاه فرقد
هدأت خوافقه فنام وغاب فيه كل مشهد
وهناك في اطراف مكة في حمى الحرم الممجد
بيت على اركانه مستقبل الاسلام شيد
وكأنه قدس وفي عرصاته لله سجد
وكأنه المعراج في مرقاته للغيب مصعد
وكأن في احنائه سرا عليه البيت موصد
صلة السماء ومهبط للوحي ينزله محمد
نامت عيون الشهب وانتشر الكرى في كل مرقد
الارؤوسا من افاعي الشر في سفط تعربد
باتت تنضنض في انتظار النهش بالناب المحدد
وبدت طيوف في الظلام تطوف في حذر وترصد
تتسمع الاصدآ وتضرب لاقتراف الإثم موعد
وتبيت الكيد اللجوج وتشهر السيف المهند
تطوي على الحقد الاكول حشا تضرم فيه موقد
وتحيط بالبيت الكريم وتحرس الركن المشيد
وتظله بصفاحها وبكل انبوب واملد
شدته كل قبيلة بفتى طليب العضل امرد
ومضت تشدد في الحصار وترقب الجسم الممد د

لتفوز بالغنم الكبير وتبلغ الهدف المحدد
ولتطفيء النور المشع وتحطم الصرح الممرد
وتضيع ما بين القبائل في مفاوز كل فدفد
تلك الدماء فلا يطاق الثار من جمع لمفرد
ويشاء ربك ان يبوء الكيد بالفشل المؤكد
وتصاب مكة في الصميم وينجو البطل المهدد
وتسير دعوته تشق طريقها الحر المعبد
وتنال من عطف السما ورعاية الغيب المؤيد
مجدا ترف به الحياة وعزة الذكر المخلد
وتفلتت من قبضة الكيد المقيم بكل مرصد
ومشت تحاذر ما يعيق وما يثبط او يهدد
وتقيم في غار تحجب عن تعقب كل مفسد
ترعاه عين لا تنام وقوة تحمي وترشد
واحست الصحراء بالركب المقور حين أصعد
ورأت جلالا يغمر البطل المهاجر منذ أبعد
ويصد من رام اللحاق على أغر أقب أجرد
وتواصل السير الحثيث وغور الساري وانجد
حتى بدا الفجر اللموع وأشرق الصبح المورد
وتماوجت فوق الرمال ظلال نخل بقيع غرقد
ودنت من الركن الخيام وصفق الطير المغرد
وبدت بيثرب في الصباح طلائع الخبر المؤكد
وتجاوبت اطم المدينة بالصدى الحلو المعربد
« ابناء قيلة » ابشروا قد جاء صاحبكم محمد

فهفت جوانح اهلها للقائه في خير مشهد
وسعت به القصواء لم تزعج ولم تمسك بمقود
حتى أناخت في مكان كان للاخوين مربد
ورجا محمد ان يساوم كي يقام عليه مسجد
وهناك في دفء الحياة ومعقل الامن الموطد
وخفارة العهد الوثيق وحرمة الجار المؤيد
رسخت قواعد دعوة الدين الموحد والمجدد
وتلفت التاريخ ينشر في الصحايف ما يخلد
ويخط فيها أحرفا بالنور في نسق منضد
ويسجل العهد الجديد ومولد اليوم الممجد
يا يوم هجرة منقذ الاسلام من خطر التشرد
ومؤيد الحق الصراح بقوة الحق المجرد
حييت من يوم أغر على لواه المجد يعقد
وبقيت رمزا للبطولة والشهامة والتجلد
ذكرى تعاد وقصة تتلى وءاثارا تمجد
أصداء فخر لم تزل نغما والحانا تردد
وليبق ذكرك خالدا ما خلدت ذكرى محمد!

الشاذلي عطاء الله

مـــــولد الشعـــــر

بقلم : الهـادى نعمان

اسفر الصبح عن ضياء وعن بشـ ـرى وعن فرحة وعن آمـال
فتغنى الوجـود أنشـودة الحـ ـب فظلت أسطورة فى الليـالى
يتغناهـا كـل قلب عظيـم حكمـة للورى مدى الاجيـال
بعثت للدنـا رسالـة خير همها الفوز بالرجا فى المعالى
كم أنارت ظلام ليل رجيـم تنشر النور عبره فى جلال
لتنير السبيل فى مهمه التيـ ـه وتبنى بالخير دنيا الكمال
كم تراءت لدى فؤاد رحيـم صبوات تضيق بالاثقـال
كم بدت فى ضمير حر أبى حريـات تضج من أغـلال
كم أشادت من أى عهـد بعيـد بالبطولات فى رؤى الابطـال
كم حدت بالشعوب للمطمح العا لى رجـاء للفـوز باستقـلال
كم غدت هذه الرسالة فى النا س جميعا تبث روح الجمـال

∴

أسفر الصبح عن جمال وعن كو ن من السحر مالـه من مثـال
دافـق بالمنى بديع عجيب انـه مولد الجمال الغـالى
أى حب نسمو بـه لمجاليـ ـه وأى انطلاقـة لكمـال
انـه العالم الـذى نتغنا ه ونبنى أركانـه من خيـال
انـه بيننا يبادلنـا الشـو ق فمرحى بالحق فى اجلال
أى سحـر وأى نـور يغنيـ ـنا سلاما يشع بالآمـال

الهادى نعمان

اغنيـــــة زنجـــــي

بقلم : نــور الدين صمود

حبيبتي زنجية
سوداء افريقية
من قـارة النغم
ومن قرارة الالم
تمد للاله كفـا
ان نقرت اصابع الشيطـان دفـا
وتنثني كحية
لينة قوية
من بعض كبريـائهـا :
وقوفها امـام الخالق
في شبه عري نـاطق
تهز نحو الله انفـا
ان نقرت اصابع الشيطـان دفـا
وحولها الزنوج
في مسرح المروج
في ثورة الصنوج
تدفقت اغنية
في اثرهـا اغنية
في عريهـا شمم
وفي ابتسامها كرم
تجود بـالنغم
وتسكب الالم
من قـارة النغم
ومن قرارة الالم

حبيبتي .. حبيبتي
يـا لون امس ميت
اصابه العفن,
في قبره النتن
ولم يـر البيـاض الا في الكفن
وفي دجى الخذلان والوهن
وعتمة الفتن
قد ضيعت افريقيـا معنى الوطن
ومن سلاسل الشيطـان لالم تفلت

حبيبتي ... حبيبتي
يـا لون امس غـابر
يـا دم جرح غائر
في قلب شعب ثـائر
قد مضه الالم
في قارة النغم
وفي قرارة الالم

حبيبتي زنجية
سوداء افريقية
تمد نحو الله كفـا
ان نقرت اصابع الشيطـان دفـا

نور الدين صمود

جمـــــال مـن سـويسـرا

بقلم : جعفر ماجد

فيهما قد عرفت لون الحياة   فارتشفت الحياة بالنظرات
فيهما لون شهوة كاندفاعي   الجمتها برودة الكلمات
شفتاك .. احمرار فجر تهادى   فاستحمت في رأده شهواتي
يا كروما .. تخمرت .. فوق ثلج   من رواسي سويسرا الباردات
قد اذبت الثلوج حتى تنزت   وتلظى اللهيب في القطرات
فاذا ريقك المخدر قطر   رش بالخصب قاحل الامنيات
واذا ثغري دعوة تتلوى   فاسمعي يا شلالة القبلات
خوخة في انتظار .. قطف وعصر   فاعصري من رحيقها في لهاتي
قد نثرت الجحيم لما ترامت   شعرات الحرير للنسمات
وتعرت قباب صدرك تحتي   وكاني من شرفة الكائنات
استشف البياض يكسو هضابا   من بلاد الجمال والمعجزات
قد وجدت اخضرار عينيك بحرا   عبرت موج افقه نظراتي
واستمدت من عمقه الف لون   اسدلتها على الرؤى الشاحبات
يا لشعر على الجبين تدلى   بين عينيك مرسل الخصلات
كخيوط الاصيل فوق بحار   ضمختها الانسام بالنفحات
.. ضاع عمري ومات قلبي انتظارا   وكاني مقيد الخطوات
للزمان انطلاقة واندفاع   وطريقي كثيرة العقبات
مالحاق الزمان همي ولكن   ضاق صدري فلم يسع زفراتي

كم شكوت الحياة حتى تمنيت انعتاقا من كل ما في الحياة

ولقد كان للشفاه ابتسام   يتجلى في ساحر النبرات
والزمان الزمان ولى فرارا   وانتهى منتهاه في لحظاتي
ثم ماتت دقائقي واضمحلت   فاحتفظ يا فؤاد بالذكريات

جعفر ماجد

الموت والاشعاع

بقلم : مصطفى الحبيب بحرى

السنا الاشعاع
عالمنا سفينة تحملنا الى ضياع
حدوده عدم
سماؤه مجنونة الاعصار
امواجه انين دم
شاطئه جماجم ..
تعفنت .. ذراته لهيب نار
مستعره
وقودها الصليب والقرءان
ذراته مسخرة
لسحق ما بناه جدنا الانسان
لهدم ما يشيد الانسان
في عالم الابداع

❀ ● ❀

سفينة الاشعاع
تحملنا لعالم الضياع
تريد ان تشدنا
بموثق الفناء في طاحونة الضياع
تصهرنا
فكل قلب في لهيبها مزق
يلطخ الشفق
سفينة الفناء
شقت بنا الخضم
لشاطىء العدم
هازئة بالشوق والنغم
يحن للضياء

فتاه في ضجيجها
وكالانين عاد صوته النغم

❀ ❀ ❀

انا هنا مقيد
لا نسمة ولا الهوى يغرد
انا الانسان هنا.. سفينة الاشعاع
تحملني لعالم الضياع
ولست اخشى ان اموت
لكنني
اخاف يوما ان تثور الزوبعة
أخاف أن تمزق الشراع قسوة الرياح
فجدنا
قد حذر الانسان من غباوة الشراع
وقسوة الرياح
أخاف أن أرى سفينة الى شعاع
تشدنا
بموثق الفناء في طاحونة الضياع
تصهرنا
أخاف أن يضم شاطىء الدمار
حتى نزيل الصومعه
والصبية الصغار
والحاكمين الاربعة
المالكين ارضنا الموزعه
ويسحق الاشعاع
ما شيد الانسان
في عالم الابداع

مصطفى الحبيب بحرى

مـــوكب الحيــــــــــاة

بقلم : عبد المجيد بن جدو

العمر مسافة يقطع الانسان متاهتها في شعاب نفسه الملتوية
وينتهي قبل ان يصل فيها الى نهاية

طفـولـة

كانت الارضُ عندَ ميـــلاديَ
مَهــدًا من العُشب
والزهــورِ الجميلــه
كنت في عشي الجميل
اناغي دميــة
والحياة حولي خميلة
وابى رافــة
وامي حنــان
واناغفوةٌ تَلَذ طــويلة
غير اني أُنْسِيتُ ما كنت فيه
من ســلاَمٍ
ومُتعــة
وسعــاده
يوم جاء المَخَاضُ امي
وكانت دارُنـابيتَ نافِس وولاده
ورايت الابَ الحنونَ يــلاغي
وينــادي
وهنـدُ اختي المُنَادى
وتمثلت بعدها هندَ اختي
في الحِجَا قطعةً تَموءُ عليله
وحدجت الابَ المراوِغَ شَزْرًا
فمَحَا غضبتي عليه بِحيله
واتى حيث كنتُ وحدى
بوجه ضاحك للصغير
كي يستميلَــه
الاب :
انت طفلي وانت من ثرت اسمى

هند بنت لامها يا صغيري

الطفل :

انت كلمتها .

واعرضت عني .

الاب : (لنـفسه)

فانا بين دمية وامير

(يحاول الانكار)

انا كلمتها . . . ؟

الطفل :

نعم انت .

الاب :

ويلـي

ليس لي منكما غدا من مجير

الطفل :

كنت في غرفتي الصغيرة

القي للاعاصيرِ الف عين وبالِ

كنت في شرفتي وامي وهندٌ

وابي كلهم وقوفٌ حيالي

وقفوا يشخصون

للشارع المملوء من وحشة

ومن سوء حال

من سيول غزيرة اغرقته

في فراغ من النساء والرجال

ليس فيه سوى مدامع مزن

فوق بلورنا بدت كالآلي

فوق بلَّور شُرفتي قد تهادت

ليس من حرقة ولا من هزال

وتتبعت خَطْوَها

فهي تمشي ليمينٍ وتارةً لشِمال

فهي كالفكر .

لاتقر خطاها

وهي للمبصرين خير مثال

. . . للحياة التي تسير وئيدا

نقلت خطوها لغير مآل

رب عين ترى الاعاصير

ـذعرا ـ مزعجات كما تعد الليالي

وهي والليل يحملان الينا

خاطر البحر والهوى والجبال

كلُ شيء اراه بالكون سحرٌ
وحياةٌ ومظهرٌ من جمالِ
عجبا .
صبوةٌ ؟
اقلب صغير
يعرفُ الحب ؟
وهو قَفْرٌ وخالِ
اخذت لبّه الطبيعة قبلا
فغدا واجدا لغير وصالِ
حَيْرتْ في طفولتي البالَ دنيا
هي من أوْجَدَت حنيني وبالي
وتحولت حيث اميّ ترنو
لي بشوق مُبَرّأ وحلالِ
هي امي ام الطبيعةُ امي
من للغزي ومن يجيبُ سؤالي
أنَا اهفو اليهما
غير أني بعدَ هندٍ
احسست بالانفصال
ما كان اعظمَ نشوتي

ما كان اكبرَ فرحتي
ما كان اسعدَ طالعي
يوم انتهيت
الى طريقِ المدرسة
فلقد لبست من الثياب
. . . جديدَها .
اما المسافة .
قد طويت بعيدَها
ورايت من زَمَنِ الحياة
سعيدَهُا
بيدي كتابي
بين سفريه حياة
ولقدكشفتُ مغالقَ العقل السعيد
بل الجديد
بل البعيد
فالطفلُ يحترمُ الشيوخ .
وَيمُدُ كسرة خبزه
للجائعين .
للبائسين الشرد

من اين جاء البائسون .
وعلام كانوا بائسين . . .
وعلام كانوا جائعين . . . ؟
امن العدل يجوعون
هذا سؤال غــامضٌ
من اين جاء البائسون
فالعيش ضعف فيه قوة
والخير والشر سبيلاه
الى عيش السعــاده والرضــى
وهما سبيلاه الى درك المهانة
والشقــاء
فالخير فيه رضى النفوس وامنها
والشر تاباه الحياة
إنسُ الحياة وجنها
فالجوع ترهبه النفوس
والنـاس قد جعلوا
من الحسنى ملاكا ملهما
هذى جهنم للذين تصاممــوا
وتجاهلوا وتمردوا
فليحذر المتمردون جهنما
هذى التعاليم التي لقنتها
وقرأتها .
من يوم كنت بروضة الاطفال
روحا مُلْهَمًا
ومن الاساءة
ينحت الانسان للشيطان نحتا
ويسوى هيكلا ، ما اعظم . . .
فالفكر قــد امسى
كامسه مُلْجَمَــا
والحق لن يبــلى
ولـن يسترحما
فمتى تزول عن النُهَى
عينُ الغشاوة والعَمى
والى هنــــا
ظهرت بفكري ثــورة
فالشر بعد اليوم
لا لن يسلم
لا لن يكون مسيطرا
لا لن يكون مُهيْمِنَا
فالخير حقٌ للجميع ـــ وغيرُه
شرٌّ تثور عــلى بشاعتِه الدمــا

عبد المجيد بن جدو

امتنـــــــــــاع

بقلم : الدكتور علي شلـق

لا تكن لـي، تموت في الاجابات ويفنى الوضوح في شطئـانـي
رملها أزرق ومن خلفها الليل مكب عـلى ضـلال الـزمـــان

* * *

أنـا وهـم الآبـاد، ظـل فـراغ مد فيه الفنـــاء ليـل حــران
فـي ضيـاعـي هدى السـواد مـن الـزيـغ تـلاق فـي خاطر الايمان
بـــا خلـوا من الـزمـــان، مـن الامـكـــان، أحـرقت وهم مكاني
وتـرنـحـت فـي نفايـات ايجـاد ملح على رمـــاد كيـانـي

* * *

أنـا، لا شـيء، كـل « لا » سـرقـت مني وجـودا محلولك الالوان
أنـــا جـوع بحث بـه شهوة رقطاء ينزو جماحهـا في عنـان

* * *

لا تكن لي، فـالـنور أرخص شـيء تتمنـاه أوجـه العميـــــان
ان تكن يا سؤال، تفـن الـديـاجير، وتلق في هـوة النسيــان
يـا سؤالي اشمأز منك جـواب ليك فـي فك مـارد شيطـان
حـاضري، جفـوة الجـواب، وقلبي أخضر الجـوع، أحمر الخفقان
هـا تـلاقـت عا، أمنية الامس فسحقا لمستجيب الامـــانـي
أنـــا أهـوى الظـلام ، أهـوى امتنـاعـــا، لم يلح في خواطر الامكان
مقلتـي للـدجـى، وللكهف، للبحـر، لغاب محدودب الاغصـان
للعلـو البعيـد، للمنحنـى المـوغـل، لكـن تـشيح عن كـل دان
قـد مللـت الشعـاع والـزهر والنهر وصوت المصفق المـرنـان
لا تكن لي تموت فـي الاجابـات، ويفنى الوضـوح في شـطئانـي

عـلي شلق

من ديوان « ألم ... وأمل » :

حـــــــرب الجزائـــــــر

لسعد الغزال

على المغرب المظلوم ، قد سلط القهر — ويتمت الاطفال ، واندلع النكر
وخرب في أرض الجزائر دورها — وقطعت الأشجار ، واضطرب البحر
ففي كل ركن من شوارعها به — خلائق بؤس مسها الحزن والفقر
وكم من يتيم هده الحزن ؛ فانبرى — يلملم ؛ مجروح الفؤاد، به كسر
وياويلتا ! إن الأرامل والنسا — عليهن مضغوط ، وقد فرض الأسر
ويجتاح أرض العز، ذل وفتنة — وفوضى، وتقتيل ، وفي الأنفس الذعر
فهذي فرنسا ! أمة العدل قد طغت — وجارت، ومن باريس قد برز الشر

* * *

ألا إنما الغرب المضلل ، مجرم — مبادئه الأولى ، التسلط والقهر
بني الشرق . إن القهر في أرضنا غدا — يهددنا ، فلتزحفوا، إنكم كثر
وإن رباط العرب زاد توثقا — وإن نسيم الفوز مصدره الصبر
ونحن جنود الله ، ندفع فتنة — عن المغرب المكلوم ، أو يفتح القبر
ونحن لدى الأحداث، هول ونقمة — ونفخر — عن حق — إذا لزم الفخر
عزائمنا كالكهرباء إذا سرى — مع السلك، والإحجام في عرفنا كفر
ولسنا نريد العيش في ظل ظالم — فأما حياة العز، أو يقصف العمر
وإن سليل العرب في المغرب الذي — تكلم ، لا يثنيه عن قصده ضر
ألا إننا نبغي إعادة مجدنا — وذي وثبة أولى سيعقبها النصر

* * *

ويا أيها الشعب المكافح ، إنه — يباركك البحر المقدس والبر
وإن جبال الأطلس الآن تعتلي — مكانة بركان يفرقعه الجمر
وفي جبل الاوراس جلجل صوتنا — فأذعن للثوار ذا الجبل الوعر
ومن بأسنا ولت جيوش كليلة — يساورها خوف ، ويدفعها غدر
ومن أرض «وهران » المدافع زمجرت — وفي الجو تحليق، وقد حزب الأمر
ولكن جند الله غلاب ، اهتدى — إلى النصر ، والأعداء باغتهم خسر
وليس بعيدا — يا جزائر — فابشري — زمان انتصار الحق، إن ساعد الدهر
وبعد ظلام الليل، لابد أن ترى — بشائر صبح ، بعد أن يطلع الفجر

سعد الغزال

لحظة حاسمة

ديستويفسكى ، بترسبورغ ، ميدان سيمنوفسك • 22 ديسمبر 1849

بقلم : ستيفان تسفايغ
ترجمة : ابو العيد دودو

ايقظوه من نومه ليلا ،
والسيوف تصل فى المبنى
والاصوات تأمر ؛ فى مكان ما
تهتز ظلال شبحيه متوعدة •
ودفعوه الى الامام ، فى ممر
طويل اسود ، اسود طويل
يتثاءب بعمق •
ويزعق المزلاج ويئن الباب ،
فيحس السماء والهواء البارد ،
وعربة تنتظر ، لحد داو
يدفع فيه بسرعة •
والى جانبه رفاقه الجدد ،
صامتين ، يرسفون فى القيود ،
ووجوههم شاحبة باهته ،
ولا احد يتكلم ،
فكل واحد يشعر ،
الى اين تمضى به العربة ،
وان هذه العجلة الدائرة تحت
تطحن حياتهم بين دفتيها •

وتقف العربة المجلجلة ،
ويصرف الباب :
عبر القضبان المفتوحة تحدق
فيهم قطعة سوداء من العالم
بنظرات ناعسة غائمة •
مربع من البنايات ،
السقوف واطئة يعتليها الصقيع ،

تظلل مكانا مليئا بالظلام والثلج ٠
السديم يغلف المحكمة العليا
بازار رمادى اللون ،
وحول الكنيسة الذهبية يطوف
الفلق باضواء قارسة دامية ٠

واصطفوا جميعا فى صمت ٠
ويتلو الضابط الاحكام :
الموت للخيانة بالبارود والرصاص ،
الموت !
تسقط الكلمة ، كصخرة عظمة ،
فى مرآة الصمت المتجمدة ٠
ويرن الجرس
بقوة ، كأن شيئا يتفتق ،
ثم يفور
الصدى الفارع فى القبر الهادىء ،
قبر الصمت الصباحى القارس ٠

وكانه فى حلم
يشعر بكل شىء يتلاشى فى ذاته
ويعرف فقط ، انه لا بد من الموت الآن ٠
ويتقدم واحد فى صمت ويلبسه
الكفن الابيض المتماوج ٠
كلمة اخيرة تحيى الرفاق ،
ونظرة حارة ،
وبصراخ صامت ،
يقبل المخلص فوق الصليب ،
الذى قربه منه القس فى وقار وذكرى ،
ثم يغدون
كلهم عشرة ، دوما ثلاث وثلاث ،
تشدهم حبال الى اوتادهم ٠
ويدخل كوزاكى مسرعا ،
ليعصب عينيه امام البندقية ٠
عندها تنطلق ــ انه يعرف ذلك : لآخر مرة ! ــ

نظرته النهمة ، قبل العمى الاكبر ،
نحو تلك القطعة الصغيرة من العالم ،
التى تعرضها له السماء فى تلك الناحية :
يرى الكنيسة تلتهب فى انوار الفجر :
قبتها تلتمع ، كما فى آخر عشاء رباني سعيد ،
فى فيض فلق الصبح المقدس ٠
ويهفو اليها فى سعادة مفاجئة ،
كانه يتطلع الى حياة الاله بعد الموت ٠

عندها يلفون الليل حول نظراته ٠

ولكـن فى اعمـاقـه
بـدأت الدمـاء تسيل ملـونة ٠
وفى مـد عاكس
تتصاعد من دمائـه
صور الحيـاة ،
فيشعـر ،
أن هذه اللحظة ، لحظة المـوت ،
تغسل الماضى الضائع عبر ذاته :
حيـاتـه كلهـا تصحو من جـديـد
وتمثل صورا فى صدره ؛
الطفولة ، شاحبة ، ضائعة ورمادية ،
الاب والام ، الاخ والزوجة ،
ثـلاث كسرات صداقـة ، قـد حـان مسرة ،
احـلام مجد ، رزمة فضيحة ،
ونـزوة الشباب الضائع
تسرى عارمة فى عـروقه ،
وهو يحس بعد بوجوده فى عمق
حتى اللحظة ،
التى ربطـوه فيهـا الى الـوتـد ٠
بعدها تلقى ذكريات ،
ثقيلـة قاتمـة ،
ظلالهـا فـوق روحـه ٠
وثمـــة

يحس اقتراب واحد منه ،
يحس خطى سوداء صامته ،
قريبة ، جد قريبة ،
وحين يضع يده على قلبه ،
يحس انه اضعف ... واضعف ...
وانه لم يعد يدق بتاتا ـ
لحظة واحدة .. ثم ينتهى .
الكوزاكيون
يشكلون فى الناحية الاخرى
صفوفا متلألئة ،
فتهتز السيور وتطق الازندة ...
والطبول تشطر الفضاء .
اللحظة تغدو آلاف السنين .

وهناك تعلو صيحة :
انتظر !
الضابط
يتقدم ، تنفتح صفحة بيضاء
ويقطع صوته الواضح اجلى
رداء الصمت الملح :
القيصر
عفو ارادته المقدسة
ابطل الحكم ،
وحوله الى عقاب اخف .
ترن الكلمات
غريبة بعد :
انه لا يستطيع فهم معناها ،
ولكن الدماء
تحمر فى عروقه من جديد ،
تتصاعد وتاخذ فى الغناء بصوت خفيض .
والموت
ينسل فى تردد من المفاصل المتجمدة ،
وتحس عيناه ، بعد فى لجة الظلام ،

انهما تحتضنـان تحيـة النـور الخـالـد

المـوظـف
يحـل لـه الجبـل فى صمت ،
يـداه تقشران العصابـة البيضاء
كقشرة البتـولا المشققة
من صـدغيـه الملتهبـين ٠
وتغـادر عينـاه اللحـد
وتتلمسان فى ضعف وخـور
معـالم وجـوده المنهـار ٠

عنـدهـا يـرى
سقف الكنيسة المـذهب
ينتصب وتلتهب فى صوفية
عبـر انـوار الفجر المتصاعدة ٠
زهـور الفلـق المنـداة
تلتف حـوله كصلاة وروعـة ،
وتـاج العمود الملتمـع
يشيـر بيـده المصلـوبـة ،
كسيف مقـدس ، الى حـافـة
السحب المحمرة فـرحـا ٠
وهنـاك ينتصب بـرج الله
فـوق الكنيسة يحف بـه الالـق

تيـــار
من النـور يـرسل امـواجـه الملتهبـة
الى كـل السماوات الـرنـانـة ٠
وابخـرة السديـم
تـرتفـع دخـانـا ، كانها مثقلـة
بظـلام الارض كلـه ،
فى ضيـاء الصبـح الالهى ،
والنغمات تنطلـق فى الاعمـاق
كمـا لـو صـاحـت
آلاف الاصـوات فى جـوق
وعنـدهـا سمع لاول مـرة
كيف يجتـاز العـذاب الـدنيوى
والالـم المـوقـد

سطح الارض فى خيلاء ٠
فيسمع اصوات الصغار والضعفاء
النساء اللواتى وهبن انفسهن عبثا ،
البغايا اللواتى يسخرن من انفسهن ،
وحقد الغاضبين الاسود دوما
والوحيدين الذين لا تعرفهم البسمة ٠
يسمع الاطفال وشكاوى البكاة ،
يسمع الاغماء الصارخ ، اغماء
المأخوذين سرا ٠

انه يسمعهم كلهم ، هم المعذبون
المطرودون ، البلداء والهزأة ،
غير المتوجين
شهداء كل الايام والدروب ،
انه يسمع اصواتهم ، يسمعها
وهى ترتفع فى اغنية ازلية
الى ابواب السماء المفتوحة ٠
ويرى ،

ان الالم وحده يصعد الى الله ،
بينما الحياة الشاقة تلصق
الآخرين فى الارض بنعيم وصاصى ٠

ولكن النور يمتد فوق بلا نهاية
تحت فيض
الالحان والنغمات المتصاعدة
من سعير العذابات الارضية !
انه يعرف ، أن الله سيسمعهم
سيستجيب لهم كلهم ،
فالرحمة ترن فى سماواته !
ان الله لا يحاسب المساكين
فالرحمة اللانهائية
تفى ردهاته بنور خالد ٠

صور الطاعون والحرب والموت
والطغيان تتطاير شررا
فيغدو الالم لذة والنعيم عذابا
لذلك الذى يعيش الحياة فى الموت ٠
وينطلق ملك نارى

نحـو الارض ويغـرس لـه
فى قلبـه المـرتجف شعـاع الحب
المقدس المولـود فى ضجـة الالـم
فى عمـق ورونـق ٠
عنـدهـا يـركـع
كالمصـاب وفجـاة يحس
العـالـم على حقيقتـه ،
يحسه بكـل عـذابـه اللانهـائى ٠
فيـرتجف جسده ،
وتكتسح اسنـانـه رغـوة بيضاء ،
والتشنج يشوه مـلامحه
ولكـن دمـوعـه
تشرب الكفـن فى فـرح ٠
لانـه يحس ، منذ ان لمس
شفـاه المـوت المـرة ،
ان قلبـه يشعر بحـلاوة الحيـاة ٠
وروحـه تلتهب شوقـا الى
العـذاب والجـراح ،
اذ يتضـح لـه ،
فى هـذه الدقيقـة الـواحـدة ،
انـه كـان ذلـك الآخـر ،
الـذى تـدلى فـوق الصليب ،
وانـه ، مثلـه ، منذ ذاق قبلـه المـوت ،
لا بـد لـه من ان يعشق الحيـاة من اجـل العـذاب
ويبعـده الجنـود عـن العمـود ،
ومحيـاه اشقـر
كـانـه قـد امحى ،
ويعيـدونـه
الى القطـار فى قسوة ٠
نظـراتـه
غـريبـة ومنصبـة عـلى داخلـه
وحـول شفتيـه المـرتجفتين
تختلـج ابتسامـة كـرامـازوف
الصفـراء الخـافتة ٠

ترجمة ابو العيد دودو

مطالعات

« اللهب المقـــــــدس

لمفدى زكريا

عـرض : البشير بن سلامة

صدر اخيرا ببيروت احد دواوين شاعر الثورة الجزائرية مفدى زكريا وسماه « اللهب المقدس » وهو ديوان ذو حجم كبير وورق صقيل وطبعة انيقة نهنىء الشاعر عليه ونشكره جزيل الشكر على هذه الفترة التي قضيناها معه نستكشف فيها عوالمه ونسبح مع خيالاته ونتذوق فنه الجميل اليسير ونخوض معه ثورة الجزائر : **الثورة المقدسة** • وان يكن مـن العسير ان نلم بجميـع مظاهر فـن شاعرنا وان نجمع جميع اراءه فى صفحات قليلة فلعله يكون من اليسير تركيز هذا العرض الموجز على اهم الافكار التى تتردد فى كثير من القصائد مع الاشارة اشارة عابرة الى طريقة شاعرنا فى صوغها وتركيبها واضفاء مسحة من الجمال والفن عليهـا

قسم مفدى زكريا ديوانه الى اقسام خمسة : من اعماق بربروس ـ تسابيح الخلود ـ نار ونور ـ تنبؤات شاعر ـ من وحى الشرق • وقصائـده كلهـا مستوحاة من الثورة الجزائرية فلا تجد مقطوعة واحدة تخلو مـن ذكر الثورة المقـدسة •

نعم هى ثورة مقدسة فى ارض مقدسة :

ارض الجزائر فى افريقيـا قدس رحابها من رحاب الخلد ان صدقوا
ان الجـزائـر قطعـة قـدسـيـة فى الكون لحنها الرصاص ووقعـا
وقصيـدة ازليـة ابيـاتـهـا حمـراء كان لهـا نفمبـر مطلعـا

والثائر فيها كلما أمعن فى الكفاح تطهرت نفسه وامسى لا يبالى المحنة ولا يرهب الموت هو ذا الشاعر يصيح فى السجان قائلا :

والروح تهـزأ بالسجـان ساخرة هيهـات يدركهـا ايان تنزلـق
تنساب فى ملكـوت الله سابحـة لا الفجر ان لاح يفشيها ولا الغسق

فهى تعلو غير مبالية بالعـذاب ولا ملتفتة الى القهر ولا هيابـة للموت مثل

روح هذا الثائر الذى نفذ فيه حكم الاعدام فما مات بل سبح فى الملكوت الاعلى :

وتسامى كالروح ليلة القد ... ر سلاما يشع فى الكون عيدا
وامتطى مذبح البطولة معـ ... ـراجا ووافى السماء يرجو المزيدا
وتعالى مثل المؤذن يتلو ... كلمات الهدى ويدعو الرقودا

فكل ثائر قد وهب روحه لاجل وطنه مثل شاعرنا اذ يقول :

لا ابتغي العز الا فى مغامرة ... ان السموات للمقدام تنفتق
روحي! وهبتك ياروحى فدا وطنى ... زلفى الى الله ، لا من ولا ملق

وهكذا فهى ثورة مقدسة جذورها امتدت حتى التقت بتعاليم الاسلام ، فهبت وشعارها ما نادى به محمد لاتستبيح الكنيسةولا تعبث عبث الماكرين

ونحترم الكنيسة فى حمانا ... ونحترم الصوامع والقبابا
وكان محمد نسبا لعيسى ... وكان الحق بينهما انتسابا

لذا فلغة شاعرنا قبس من الاسلام وصوره مستمدة من القرآن يكرع منه فلا يروى وينهل من الفاظه وخيالاته فلا يصدر عنها الا وقد رفرفت روحه وسمت سموا لاحد له . فهو يشبه روح الذى اعدم بعيسى :

زعموا قتله ... وما صلبوه ... ليس فى الخالدين عيسى الوحيدا
لفه جبريل تحت جناحيـ ... ـه الى المنتهى رضيا شهيدا

وهو يضمن شعره آيات من القرآن فيقول :

تنزل روحها من كل أمر ... بأحرار الجزائر قد أهابا

وتكاد هذه المسحة الاسلامية لا تفارق اى قصيدة حتى احاطت بالديوان هالة من القداسة حق لصاحبه ان يدعوه « باللهب المقدس »

ولكن هذه الثورة وان هى تسامت حتى رفرفت باصحابها الى اعلى عليين فانها انبثقت من الشعب واستمدت قوتها منه واستكملت عدتها من رجاله لهذا فقد حبس شاعرنا قصائده لتمجيدها لانها ثورة الشعب :

حبست شعرى والهامى على وطنى ... فانساب ينشر فى الدنيا معالينا
وهمت بالثورة الكبرى اساوقها ... أهز فى الثورة الكبرى رواسينا

فليست هى اذن ثورة تسابيح وتواكل بل عمادها القوة وصوتها الرصاص :

نطق الرصاص فما يباح كلام ... وجرى القصاص فما يتاح ملام...
السيف اصدق لهجة من احرف ... كتبت فكان بيانها الابهام

والنــار اصدق حجـة فأكتب بها   مـا شئت تصعق عندهـا الاحلام
ان الصحـائف للصفائح امـرها   والحبـر حـرب والكـلام كـلام
عز (المكاتب) فى الحياة (كتائب)   زحفـت كـأن جنـودهـا الاعـلام
خير المحافل فى الزمان جحافـل   رفعـت على وحـداتهـا الاعـلام
لغة القنابل فى البيان فصيحـة   وضعت لمن فى مسمعيه صمام ...
والحـق والرشاش ان نطقـا معا   عنت الوجـوه وخـرت الاصنـام

ذلك ايمان بان الحق وحده لا يوصل الى المجد ولا يقهر الاعداء :

انى رأيت الكون يسجد خاشعـا   للحـق والرشاش ان نطقـا معا

وصمدت الثورة سنين طوالا وكسرت شوكة المستعمر وهزمته وهو على اشد ما يكون قوة وغطرسة فاندحر اندحار المستسلم وضاق ضيقة المنهزم وتولى فى خنوع وانكسار وما ذاك الا لصمود العرب جميعهم وتكتلهم لنصرة الجزائر وما الجزائر الا قلب العروبة :

قلب العروبة لم يعصف بنخوتها   عسف ولا نـال من ايمانهـا رهق

وما ثورتها الا ثورة العرب تتجاوب اصداؤها فى كـل مكان :

يـا امـة العرب الكـرام كرامـة   لـك فى الجزائـر حرمة وذمـام
فـى كل ارض للعروبة عندنـا   رحم تشابـك عنـدهـا الارحـام
ان صاح فى ارض الجـزائر صائح   لبتــه مصـر وادركتــه شـآم
فى المغـرب العـربى عرق نابض   يذكيه فى (حرب الخلاص) ضرام
عز العروبة ، فى حمى استقلالنا   أيطير (مقصوص الجنـاح) حمـام

فالتضامن بين الاخوة الاشقاء واقع ينطق به كل لسان ولا يجحده صاحب كل بيان ، فان تالمت الجزائر فما تطيق تونس صبرا لألمها ولا تسكت مراكش عن التأثر بما اصابها :

وفى المغرب الجبار ، شعب مكافح   تسانده الدنيا وتسمو به الحرب
على خـافقيه : تـونس ومراكش   تحاول تحليقـا فيثقلهـا الخطب
جناحـان فى صقر تصدع قلبـه   وكيف يطير الصقر ليس له قلب

وليس هذا التضامن من وليد الساعة ولا هو امر عرضى بل لقد اثر عـن الاجداد وتناقلته من الزمان الابعاد ، فجذوره عريقة فى القدم واصوله مبثوثة فى نفوس من ماتوا ومن قبروا :

شقى طريق الخالدين وسطرى   بدم الشهادة فالدماء قوام
واستنطقى الاجداث عن اجدادنا   تشهد لنا فى الخالدين عظام
واستجوبى الافلاك عن امجادنا   تدحض كذابا يدعيه طغام

وهذه لغة الضاد تشهد بذلك فهى التى خلدت مجدهم :

تلك العروبة ان تثر اعصابها   وهن الزمان حيالها وتضعضعا
الضاد فى الاجيال خلد مجدها   والجرح وحد ، فى هواها المنزعا

لذا فلا مناص من الاحتفاظ بها والذود عنها فهى الحصن الذى حفظ الديار وهى الملاذ الذى يحمى من كل عار :

ذل شعب لم يتخذ لغة الاجـ   ـداد حصنا ورام عنها انفصالا
وعقوق البنين اعظم خطب   يرهق الشعب ذلة ونكالا

هى لغة صمدت فى وجه العصور :

لغة العز والكرامة والمجـ   ـد تهادى على الدهور اختيالا
تتحدى العصر الجديد وتغزو   افق الفكر قوة وكمالا

فالشاعر مغرم بها حريص عليها لانه تأثر بأدبها واستمد قوة معانيه من آثارها القديمة ٠ الا تذكرنا قصيدته زنزانة العذاب رقم 93 بأبى فراس فى رقة معانيه وحزنه وأساه وفى صموده وعزته وانفته ٠ الا يدعونا تذكر الشاعر لابنته الىالتفكير فى قصائد الشاعر الفارس وقد حنالى امه وموطنه٠ والا تجول بخواطرنا قصيدة ابنالرومىفىرثائه للبصرة وتعداده فقط للويلات التىحلت بها عندمانطالعهذه العينة: **وتعطلت لغة الكلام**٠ففيها تعداد لما اقترفه جنودالاحتلال ونقمة على ما قاموا به من اعمال ٠ واسلبوه على قوته ومتانته هو مستساغ سهل فيه نفحة من نفحات الشعر الجاهلي وفيه رقة الفاظ ابى فراس ومتانة المتنبى وقوته وصنعة البحترى وترصيعه وشاعرنا لا ينكر ذلك بل يصرح به ويعتز بانتمائه الى اقطاب الشعر العربى القدماء ٠ بل هو يذهب الى تقديس هذه اللغة التى نطقوا بها ونطق بها هو فتلتقى بذلك قدسية الثورة بقدسية اللغة ويكون « **اللهب المقدس** » **لسان انتفاضة فرعها فى السماء واساسها قوة الشعب وصموده وسلاحها العنف والرصاص وعمادها الاخوة الاشقاء وجذورها ثورة الاجداد ولغتها الضاد ٠**

البشير بن سلامة

النغـــــم الحــــائر

للـــشاعر الهـادي نعمـــان

بـقلم : محمد الهـادي العـامري

نطقت العرب بهذا الشعر في القديم للتغني بأمجادها وتخليد مآثرها والاشادة بمناقبهـا واذاعة مفاخرها فكان الشعر في تراثهم الفكري اشعاعا تبرز من خلاله النفسية العربية متألقة فتانة واضحة المعالم كالمرآة تتجلى فيها صور المجتمع العربي في شرخ أمره وريعان بنائه عندما كان قبليا بدائيا بما فيه من محاسن وعيوب وقد رزقت الامة العربية الاصيلة دقة الشعور ورهافة الحس بما يندر وجوده في غيرها فكان الشاعر يتحكم في ميولها ويهز عواطفها ويوجهها فيصادف منها طوعه. وكلمة منه تبعث الثورات وتقلب الاوضاع والمرأة لا تقل عن الرجل في هذا الميدان منذ الوف السنين. واقدم اثر رواه مؤرخو العرب في هذا الصدد عن العرب البائدة (جديس) قصة (هزيلة) الشاعرة الثائرة على الظلم والاستعباد بما أوتيت من قوة وكان طلقها زوجها وأراد أخذ ولدها منها فخاصمته الى عمليق وكان ملكا ظلوما غشوما قائلة له : في فصاحة ساحرة : أيها الملك حملته تسعا ووضعته دفعا وارضعته شفعا حتى اذا تمت أوصاله ودنا فصاله أراد أن يأخذه مني كرها ويتركني بعده ورها فقال زوجها : أيها الملك انها اعطيت مهرها كاملا ولم اصب منها طائلا الا وليدا خاملا فأمر الملك الجبار بالغلام فصار في غلمانه وان تباع المرأة وزوجها فيعطى زوجها خمس ثمنها وتعطى المرأة عشر ثمن زوجها. فقالت هزيلة :

أتينا أخا طسم ليحكم بيننـــــا فانفذ حكمـا في (هزيلة) ظـالمـا
لعمري لقـد حكمـت لا متـورعــا ولاكنت فيمن يبرم الحكم عـالمـا
ندمت ولم أندم وإني بعترتــــي وأصبح بعلي في الحكومـة نـادمـا

وتطور المشكل واستفحل شتان ذلك الظالم فلم تتمالك (هزيلة) عن ارسال كلمتها الحاسمة الداوية التي قضت على الظالم قضاء سريعا. قالت هزيلة تغري رجال القبيلة وتنذر بهم وتلهب شعورهم وتهيجهم.

ولو اننا كنا رجالا وكنتم ... نساء لكنا لا نقر لهذا الفعل
فموتوا ضراما أو أميتوا عدوكم ... وذبوا لنار الحرب بالحطب الجزل
والا فجلوا بطنها وتحملوا ... الى بلد قفر وموتوا من الهزل
فللبين خير من مقام على الاذى ... وللموت خير من مقام على الذل
وان انتم لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساء لا تغيب من الكحل
ودونكم طب النساء فانما ... خلقتم لاثواب العروس وللغسل
فبعدا وسحقا للذي ليس دافعا ... ويختال يمشي بيننا مشية الفحل

وانتشر الشعر فيما بعد وتفرق الشعراء طرائق قددا بحسب أذواقهم وظروفهم وبيئاتهم واسنانهم فالشاب يندفع الى المرح ويدعو الى الطرب ويحبذ الشهوة ويهفو الى المنادمة وينغمس في الملاذ غير حافل بنقد ولا مكترث بعذول وهاهو طرفة الشاب يعرب عن ذلك فيقول. :

متى تأتني اصبحك كأساً روية ... وان كنت عنها ذا غنى فاغن وازدد
نداماي بيض كالنجوم وقينة ... تروح علينا بين برد ومجسد
اذا نحن قلنا اسمعينا انبرت لنا ... على رسلها مطروقة لم تشدد
اذا رجعت في صوتها خلت صوتها ... تجاوب آظار على ربعها الرد
وما زال تشرابي الخمور ولذتي ... وبيعي وانفاقي طريفي ومتلدي
الى ان تحامتني العشيرة كلها ... وافردت افراد البعير المعبد
رأيت بني غبراء لا ينكرونني ... ولا أهل ذياك الطراف الممدد
ألا أيها ذا الزاجري احضر الوغى ... وان اشهد اللذات هل أنت مخلدي
فان كنت لا تستطيع دفع منيتي ... فذرني أبادرها بما ملكت يدي
فلولا ثلاث هن من حاجة الفتى ... وجدك لم أحفل متى قام عودي
فمنهن سبقي العاذلات بشربة ... كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكري اذا نادى المضاف مجنبا ... كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن محذر ... مبسرة تحت الطراف المعمد
كريم يروي نفسه في حياته ... ستعلم أن متنا غدا اينا الصدى

ويرتقي شعور الشاعر العربي شيئا فشيئا بتقدمه في السن وتمرسه بالحياة فيمل الشهوة ويسأم من الملاذ ويضجر من هذا الدوران ويمتلىء حكمة ويزخر تجربة وتثقل خطاه العقلية والمادية السنون فاذا هو حكيم يرشد الاجيال ويوصي الشباب ويهيب بالاغمار ويزجي الى فطنتهم عرائس النصائح على منصة الجلال فتنطق الحكمة على لسان شيخ الشعراء بالجاهلية وحكيمهم وفصيحهم المدره زهير فيجد في القول ويتذمر من العيش ويسام :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم
رايت المنايا خبط عشواء من تصب تمته وان تخطىء يعمر فيهرم
ومن لا يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطا بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يضره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام اسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف في غير أهله يكن حمده ذما عليه ويندم
ومن يعص أطراف الزجاج فانه يطيع العوالي ركبت كل لهذم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن لم يزل يسترحم الناس نفسه ولا يعفها يوما من الذل يندم

وهكذا كان الشاعر العربي يوقع بانغامه الشجية على قيثارة الحياة البدائية الانسانية فتستجيب له تلك الحياة وترقص على نغمامته وترهف الآذان لسماع رناته فتندهش وتطرب وتهتز لموسيقاه ايما اهتزاز ويكفي أن ينفث الشاعر البيت أو البيتين حتى يستهوي الطفل والفتاة والشاب والكاعب والكهل والكهلة وحتى الشيخ والشيخة فيهتفون له ويتواجدون ويسرفون في اكرامه ويمعنون ويحكمونه وينزلون على حكمه ؟ قال النابغة :

ملوك واخوان اذا ما اتيتهم احكم في أموالهم وأقرب

وتضع الرسالات السامية على هذه الطاقة البشرية الخارقة يدها فتستخدمها لفائدتها ويترصد الثائر عليها خطاها فاذا هو يشن عليها غارة بنفس السلاح ويحمي وطيس معركة الشعر بين الشعراء فتشرئب لهم الاعناق . ويكتب

كعب بن زهير شعرا لاخيه بحير يعنفه على اعتناق الاسلام والخروج عن جادة الاسلاف ويتبرأ منه قائلا :

الا ابلغا عني بجيرا رسالة فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
سقاك بها المأمون كأسا روية فانهلك المأمون منها وعلكا
ففارقت أسباب الهدى واتبعته على أي شيء ريب غيرك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه ولم تدرك عليه أخا لكا
فان أنت لم تفعل فلست بآسف ولا قائل أما عثرت لعلكا

ويتغلب الحق على الباطل ويخرج الشعر والشعراء من المعركة بالتفوق والسمو فيوسم الشعر بميسم الحكمة (ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة) ويثوب لكعب بن زهير رشده فيقبل على النبوءة تائبا وعلى الرسول مستعتبا ومادحا ومتنصلا في قصيده (بانت سعاد) التي يقول فيها :

انبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ قرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم اذنب وان كثرت في الاباطيل
ان الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

فتمحو (بانت سعاد) ذنوب كعب وتعلى كعبه في كل ناد ويصر الملوك والامراء فيما بعد على الانتفاع بهذه الطاقة واستخدام هذا السحر الفاتن الذي يؤز البشرية أزا فيغمرون الشعراء ويأتون بهم من كل أفق ويصطفونهم من كل نحلة ويختارونهم من كل ملة ويستعيدون ادبهم. ومن هنا تنقطع صلة الشاعر بالمجتمع ويقتصر في شعره على مديح أمير أو رثاء وزير أو هجاء عدو وقد يتغزل أحيانا أو يصف بنت الدنان : تمرس الشاعر بذلك ورضى لنفسه طيلة العصور والاجيال ان تعيش في هذه الدائرة الضيقة. ومن الغريب ان يتأثر خطاهم الشعراء من الفلاسفة واعني بهم المفكرين الاحرار فيتيهون في الملكوت ويتحيرون في جمال هذا العالم ويستوحون من عظمة شعرهم فيتساءلون في دهشة عن الحقيقة ولا يعيرون أدنى التفاتة للمجتمع الذي يعيشون فيه ويقول حكيمهم الحسين البغدادي متحيرا :

بربك أيها الفلك المدار | أقصد ذا المسير أم اختيار
مدارك قل لنا في أي شيء | ففي افهامنا منك انبهار
وفيك نرى الفضاء وهل فضاء | سوى هذا الفضاء به تدار
وفيك الشمس رافعة شعاعا | باجنحة قوادمها قصار
وطوق للنجوم اذا تبدى | هلا لك أم يد فيها سوار
وافلاك نجوملك أم حباب | تؤلف لبنه لجج غزار
وتنشر في الفضا ليلا وتطوى | نهارا مثل ما يطوى الازار
فكم بصقالها صدي البرايا | وما يصدانها أبداً غرار

ويعزف هذا العالم الحر بنفسه عن الارتطام في حماة المادة ويداخله شعور غريب عن المادة فيعبر عنه بقوله :

أمن بعد غوصي في علوم الحقائق | وطول انبساطي في مواهب خالقي
وفي حين إشرافي على ملكوته | أرى طالبا رزقا الى غير خالقي
وايام عمري متعة عبر ساعة | تجيء حثيثا مثل لمحة بارق

ويزداد العالم الفيلسوف غرورا ويخوض غمرات الاعجاب بالنفس فاذا هو ينظر الى المجتمع نظرة ازدراء واحتقار محلقا في آفاق الكبرياء فيقول في شعره أو قل عن شعوره بافراد مجتمعه زاريا ومحتقرا.

اخالطهم ونفسي في مكان | من العلياء عنهم في حجاب
بليت بعالم يعلو أذاه | سوى صبري ويسفل عن عتابي ؟

وهكذا يلتحق ركب هذه الطائفة من الفلاسفة بالناقمين على المجتمع الزارين به الايسين من صلاحه. وبذلك ظل هذا الشعر العربي قرونا يترفع عن (الشعبية) ولا يقيم للامم وزنا واهله سكارى بخمرة الاعجاب الى ان تفتحت زهرة الحياة الحديثة في حقل هذا العالم العجيب المتطور فتبدلت المقاييس وتغيرت المفاهيم وتطورت الافكار فأخذ الشاعر العربي يقدم رجلا ويؤخر اخرى أمام هذا الزحف الغامر فباغتته الثورة الاجتماعية والثقافية التي أخضعت كل شيء لسلطانها وأجبرت ذلك الشاعر المتردد المتحير على الخروج من نطاقه الضيق وعزلته الموحشة واهاب به الى ان يحدو بالركب

وان يلتحق بالرعيل والا استغنت عنه الحياة ونبذته غير آسفة فأخذ يتقدم بمقدار فكان النابغون الاولون من شعرائنا في الشرق أو في الغرب شديدي الحذر في شرح التطور البياني وعنفوان التحول الفكري يبيتون في سهاد ويعيشون مع أنفسهم وتقاليد أسلافهم التي قيدت ا شعر في ضروب خاصة في جهاد. أما الشيوخ الذين ادركناهم من رجال الادب اوقرأنا لهم فقد وقف بهم الهوى حيث انتهوا فلا مقدم ولا مأخر. وأما الشباب فقد وثب وثبة والشباب في كل جيل وقبيل عدو التقليد والعزلة فاندفع مع الحياة وانسجم مع المجتمع وشارك الامة وشاطرهما آماله وأحلامه ومن بين هؤلاء الشبب النابغين الشاب الالمعي الفؤاد السباق الى المعاني الدقيقة والاساليب الرائعة الانيقة الاستاد الاديب الهادي نعمان الذي اخرج لنا أخيرا من روحه الفياض وانغامه الساحرة ديوان (النغم الحائر) فياله من نغم في حيرة واشراق في هواية وثورة في حكمة وابداع في تقديم وشعور في عمق وجمال في صفاء عبر عنه الشاعر في قوله

تقـدست هذه الـدنيـا اذا عـرفـت
ان الجـمـال صـفـاء الـروح مـن كـدر

(من قصيد حيرة شاعر — ص 5)

وتلكم هي أمنية الحكماء من الحياة ومطمح الفهماء من بني الانسان منها
ان الـوجود لنهر دافق ثمـــل   ومـا الحاة سـوى أنشـودة العمر

(من قصيد حيرة شاعر)

والوجود والحياة كلاهما أنشودة العمر وتلكم هي الحقيقة التي لا نزاع فيها. وقد تبدو من ورائها حقائق نيرة طالما استهام بها الفلاسفة وحاول كشف النقاب عنها كبار المفكرين. فانشودة الحياة مطمح آمال الانسان المثالي في هذا الوجود وهدفه الذي يسعى الى ابرازه في أروع الصور لتكون لحنا عذبا وجمالا محضا ولا خير في أنشودة تؤذي الآذان وترمي بصاحبها في قعر سحيق من المذلة والهوان. وهكذا يمضي (النعمان) في نغماته الحائرة يحرك الاشجان ويهز العواطف ويستهيم بالحقيقة المجردة ويحول الحيرة الى هداية

واشراق وارشاد ويستلهم الجمال والجلال من آفاق غامرة جذابة تغري الارواح الصافية بالتحليق في الاجواء التي تتجلى الحقائق فيها للمتجردين فتشعر روح الشاعر بما لم تشعر به الارواح البسيطة وتتجلى له الحقائق متلالئة متألقة في هيكل الشعر ومعبد الحكمة كما تتجلى الانوار للصوفي المتجرد الحائر الذي انطلقت روحه من كثافتها واتصلت بالملكوت فترى بالبصيرة ما لا تراه الابصار التي تعوزها الدقة وينقصها الاستقراء ويغالطها الحس وينأى عنها الذوق السليم فيفيض عن ذلك الروح المتطلع في الاجواء القدسية انشودة الجلال بعد أن صفت من الاكدار وارتقت الى درجة اقتحمت فيها الحجب ومزقتها وانكشف لها الغطاء فتلقت الالهام ورات كيف : (من قصيد الهام ص 12)

سجد الكون للاناشيد في الليل وقد رقرق النشيد الضياء
وأفاض الجلال في هيئة الصمت سناء ماجت به الاضواء
سلسل الخمر في شعاع لطيف ذلك البدر أين منه ذكاء
وتغنى الوجود أنشودة الاحلام وانساب في صداها السناء
واجمال الجمال قد أسكر الليل وقد أفعم المدى والفضاء
وتجلى الجمال في هيبة الاقدار سحرا تغار منه السماء
والاماني عرائس تتهادى والغواني فواتن ورخاء
والصبابات بين هذين موج عبقري يحدو بهن الهناء

الى ان يقول :

وأزيح الستار عن هيكل الحسن وقد هام بالضياء الضياء
وترامى النشيد يستأصل الحزن وهل ثم كالنشيد دواء
واستفز الوجود لحن من الشوق ففاض الهوى وفاض الغناء
ان وحيا يجيء في سكرة الروح لوحي ما مثله ايحاء
وكذا الحسن ان طغا فهو أقوى دونه الموت والدجى والداء
واصيل الجمال ان فاض عفوا ظهرت في سمائه الشعراء

وتزداد روح الشاعر اشراقا في صفائها الشعاع المتألق فترى سر الحياة في واضح المعالم في كثير من نواحيه قد عري عن المغريات الفتانة التي ارتطم

البشر في حماتها وانخدعوا لسرابها الخداع وعلقوا عليها الآمال الجسام والاسرار تتجلى بحقيقتها من وراء السها والغمار من بني الانسان يعبدون القمر. وعلى سطوح بعض جوانب الحقيقة فالحيرة ما تزال في غليانها. وهل هي الا حيرة الباحث عن الاسرار الضائعة المتطلع الى المكنون منها الذي حير العقول وسحر الالباب وظلت تائهة واشعة العقول تترصدها متسائلة فلا تظفر بجواب منها :

فمن أي نـور قبست السـنـا ومن أي نـار هـواك اشتعـل

(من قصيد اشراق ص 13)

هنا يقف الشاعر على الساحل الذي وقف عليه المتعطشون للمعرفة من الفلاسفة الذين آبوا يقلبون الاكف ألما وتحسرا على انفلات المجهول وتمرده عن أشعة العقل واستعصامه بالاختفاء وراء حجاب كثيف لم تقدر أشعة العقول على خرقه فترتد عنه كليلة ولسان حالها يتدفق على لسان الشاعر الحكيم (النعمان) (في قصيد اشراق ص 13).

عذارى المنى ما الذي في الهـوى سـوى الالـم العبقري النغـم
وماذا بأنشودة في الـدجـى سـوى الـدهـر ينفث فيها السقم
وفي ثورتي مـا أراني سـوى نشـيد اذا مـا طغـى يـرتطـم

وقديما اصطدمت ثورة الحكماء بهذه الصخرة الصماء وتلاشت وارتطمت بالرغم عنها في حماة هذا العالم المادي الذي فقد كل روح وقاطع كل كمـال وتهافت على المضار تهافت الفراش على السراج. والحكماء يأخذون بحجزه وهو لا يزداد الا لجاجا. وماتت بغيظها الشعراء الذين ارتقى شعورهم الى درجة الشفقة على الانسانية التائهة الضالة : وهكذا يتوغل شاعرنا (النعمان) في وجدانياته اعلى القنن التي توغلتها الارواح الصافية من الاكدار وغردت على أرجائها في دقة من الشعور ورهافة من الاحساس ورقة من الذوق وظلت طيلة دهرها بين الاشراق والاخفاق والخيبة والامل والرجاء واليأس والفال والتشاؤم في أسلوب فلسفي غير مألوف لامتيازه بالطلاوة وتنكبه الاغراق ومقاطعته الاغراب والتقعر والعسلطة والتفيهق مما اعتاده المغربون في قوالبهم الفارغة على غير جدوى ؟ وبالتالي فالنغم الحائر نغم متوازن منسجم متسلسل

جذاب متدفق بالمعاني المبتكرة والاساليب الشعرية الرائعة يشع منه لهيب ثورة عارمة ينفثه طبع فياض يكاد يسيل عذوبة وسهولة وروعة يمده طبع كريم وسجية متدفقة وشعور سام لا يتمالك صاحبه عن الظهور فجأة في المجتمع الشعبي فاذا هو يشعر بشعوره وينطق بلسانه ويترجم عن عواطفه ويمتزج به امتزاج الماء بالراح والاشباح بالارواح فيهيب به مرشدا ويغريه بالمعالي جاهدا وينفث فيه من روحه مخلصا في ثورة بعيدة المدى عميقة الاثر شديدة المفعول لاتعرف اللين ولا الهوادة في البعث والتجديد والبناء والتشييد ناهيك من ثورة تقوم على كاهل الشباب وهو مناط أملها ومبعث رجائها واكسير حياتها وقطب رحاها كيف لا والشباب ما زال ولا يزال من أقدم العصور محققا للأهداف ومستهينا بالآلام وغير حافل بالتضحية في اقدام وجسارة. وقد جاء في التنزيل الحكيم قوله تعالى: « فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملته أن يفتنهم » وكان أهل الكهف فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم. والشباب كما قال النعمان في وثبة الشباب (ص 69).

وطني بارك الشباب ومجد همة دابها العلا والتجدد
في بنيك الحياة تستبق الدهر نشاطا مثل الزمان وتصعد
وتباهي الوجود بالأمل المنشود والجيل قوة ليس تخمد
أن منه مشاكل تترامى ذللت كلها بروح موحد

* * *

الشباب الشباب ذاك هو الآما ل ما انفك شعلة تتصعد
في القلوب اللهيب يغلي حماسا اين منه تواكل وتجمد
ذاك يا أمتي شباب مفدى طفق اليوم في السلام يشيد
ملا الافق ثورة يتغنى انني الساعد القوي المشيد
اقتل الفقر والجهالة والدا ء واقصي سحب الدجى والتشرد
للبناء البناء يا أيها الشعـ ـب فثم الوجود يزهو ويسعد

* * *

أنتم اليوم يا شباب المعالي قوة الشعب في الجهاد المخلد
ان روح استقلالنا في قواكم فاذا شئتم يظل مخلد
يا شباب الحمى الى الحزم دوما لننال المنى ونحيا فنسعد
فالرئيس (الحبيب) يبغي شبابا دافق العزم ثائرا متجدد

لا يقف الشاعر (النعمان) عند هذا الحد من خوض معركة الشباب والهاب شعوره الملتهب ودعوته الى المغامرة في المحافظة على حقوق الوطن وصيانة استقلاله وارضاء رئيسه الجليل المفدى بالسير على خططه في النضال والكفاح والاستماتة في سبيل مجده وعلاه والمضي قدما في تحقيق الاماني والاهداف البعيدة بل يقف أمام الشعب وقوف الحكيم الذي سبر الاغوار وشعر بالاخطار وأبى لامته أن يراها في اخريات الامم تتغنى بالامجاد الفارغة وتتوكأ على عصا الاماني الفارغة ويعز عليه أن يرى شعبه يتخبط في المصائب ويستعذب الآلام ولا ينهض لمقاومتها ومطاردتها واستئصال شافتها. هكذا وقف النعمان وقفة انسى بها مواقف الشعراء قبله الذين كانوا يرمزون ويلوحون ويشيرون في وناة... موقف صراحة في ثورة حاسمة وصيحة داوية وحرص مملوء حكمة احصافة واشفاقا ولوعة واحتراقا في خطة تنبه الخامل وبيان يزيح الستار عن الاخطار الكامنة ويصورها تصويرا تتزعج لرؤيتها النفوس التواقة الى المعالي المستعدة للهبوب والوثوب. والنصيحة بنت الصراحة ووليدة الحكمة والمرء لا يعذر نفسه اذا لم يجد من يعذره :

ومـا حسن أن يعـذر المرء نفسه ... وليس له من سائر النـاس عاذر

والعارفون بأمراضنا الاجتماعية قليل وأقل منهم هم الذين يجاهروننا بها ويدعوننا الى محاربتها ونحن ننفر منها نفور الاطفال في شرخ طفولتهم من كل صالح ويتهافتون على السم في الدسم :

أيها الشعب خل عنك التأخر ... واستبق للعلا قويا مظفر
انما المجد ليس في الوهم لكن ... هو في الجد والضمير المفكر
أيها الشعب لا تعش في خمول ... تتغنى ماضي الجدود المؤسر
انما الدين يقظة وطموح ... واعتزاز بالفكر في كل مظهر
وابتعاد عما يعوق ويثني ... همة الجيل عن بلوغ التحرر
واجتهاد في كل أمر دقيق ... وسناء منه الحقيقة تبهر
أيها الشعب لا تعش في خمود ... واتكال فيه الخطى تتعثر
ولتكن قوة مدى الدهر صلبا ... تتحدى الظلام دوما وتفخر
جاهد الفقر والجهالة والمو ... ت جهادا منه المنى تتفجر
واكتسب في الحياة قوة جبا ... ر شديد عنه الردى يتأخر
قاوم الجهل ما استطعت جهاراً ... ومن الجهل خشية وتقهقر
انما الحريات تبغي مجالا ... هو فوق العادات بالفكر يزخر
فاستفق ثائرا جسورا ومزق ... حجب الليل والظلام المكدر

مثلما كنت في جهادك للظلـــــم قويا تكون أقوى واظفر
(من قصيد أيها الشعب ص 61)

والحق أن النغم الحائر كله عيون ومنابع فياضة بالآراء الحكيمة القيمة والافكار النيرة وثورة في غليان واحتدام وصولة على كل الآفات الاجتماعية ودعوة الى مقاومة النكبات الانسانية في جراة ، في اقدام، في حصافة، في احاطة شاملة، لسائر دقائق الوجود ومعضلات الاجتماع وتحليل مشاكله وتشخيص أمراضه الخطرة وحداء بالقافلة الى شاطىء السلامة في أمن واطمئنان وتشجيع للحركات التحريرية والشؤون التقدمية لاقامة هيكل الحياة الحديثة على أمتن الدعائم واحياء لذكريات المجاهدين الذين ضحوا بانفس ما لديهم في سبيل تقدم أممهم وتخليصها وانقاذها وصيحة في وجوه الجلادين من اساطين الاستعمار وبقايا المستعمرين الذين عبثوا بالانسانية واضطهدوها ومثلوا بها ولم يراعوا فيها إلا ولا ذمة حتى استوجبوا هذه الصرخة (في قصيد الجلاء ص 60)

الجلاء الجلاء عن هذه الار ض فرنسا اما كفاك مقاما
أنت متعت باللباب من الدا ر زمانا وما رحمت مضاما
كنت كالليل ماله من فؤاد يرحم البائسين والايتاما
كان عهد استعمارك الفذ شؤما وعذابا مضاعفا وظلاما
وغدا جيشك المعربد سفا كا يغني على الحدود حماما
أنت أصبحت للمظالم رمزا عبرة للورى وعهدا قتاما

* * *

الجلاء الجلاء حتم عليكم يا جيوشا عن حقنا تتعامى
نحن افسحنا للضيوف مجالا ثم ماذا قد خيبوا الاحلاما
فاذا الضيف في البلاد عدو يدعى أنه يريد أنتقاما

* * *

وهذا غيض من فيض ولربما عدنا لتحليل ما بقي من أهداف النغم الحائر وحبذا لو يستمر شاعرنا العزيز على مواصلة الانتاج والنشر ويمضي قدما في تطوق الاجياد بلالىء فيضه ومحاسن درره.

محمد الهادي العامري

بريد القراء

نشيد الشباب

افتتح النادى العصرى للموسيقى والتمثيل ابوابه بمدينة صفاقس وهو فرع جديد تابع للراشدية بتونس . . . وقد توافد عليه الشبان وهواة الفن والتمثيل واقبلوا عليه بحماس متزايد وبكل لهفة وهذا النشيد الرسمى للنادى الجميل . وقد لحنه الاستاذ على الحشيشة مدرس الموشحات .

لك اهفو نادى العصر يا روض الشباب
يا أهوى نفسي ، ويا ملقى أماني العذاب
إن روحي فداك يا مقر الضيا
فلتدم في علاك شامخا ، عاليا
بك يعلو مشعل الفن ، ويسمو في بلادي
انا في مغناك اهوى خير الحاني الحسان
وارى فيك ابتسامي ملء روحي وجناني
زال عهد العنا وتولى الشقا
واستطاب الغنا صحبة الاصدقا
وسمت آياته ترنو لها كل الشوادى
أملي أن ترفع الهامة للفن الجميل
وتغذي مهجتي الولهى ، وتشفي لى غليلي
وتفيض البها والسنا ، والفتون
وتعم النهى بالنشيد الحنون
وتعيد البسمة الجذلى لروحي ، وفؤادى
لك قلبي ، لك حبي ، واناشيد وفائي
لك تمثيلي ، وموسيقاي ، يا مهد الصفاء
فاملأ الكائنات بالاغاني الطراب
من صدى الذكريات والهوى والشباب
انا اهديك اهازيج غرامي ، ووداد

محمد لندة